أثر الاسواق في الحياة العامة فـــي العصر العباسي ((دراسة في دور السوق السياسي والاجتماعي والفكري))

رسالة تقدمت بها

اقبال احمد زكريا العزاوي

الى مجلس كلية التربية للبنات – جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير في التاريخ الاسلامي

بإشــراف الدكتورة

خولة شاكر محمد الدجيلي

١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد اننا أعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ أثر الاسواق في الحياة العامة في العصر العباسي (دراسة في دور السوق السياسي والاجتماعي والفكري) ، وقد ناقشنا الطالبة اقبال احمد زكريا عباس العزواي في محتوياتها ، وفيما له علاقة بها، ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي وبتقدير (   ) .

التوقيع :
الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الرضا كامل محمد
عضواً

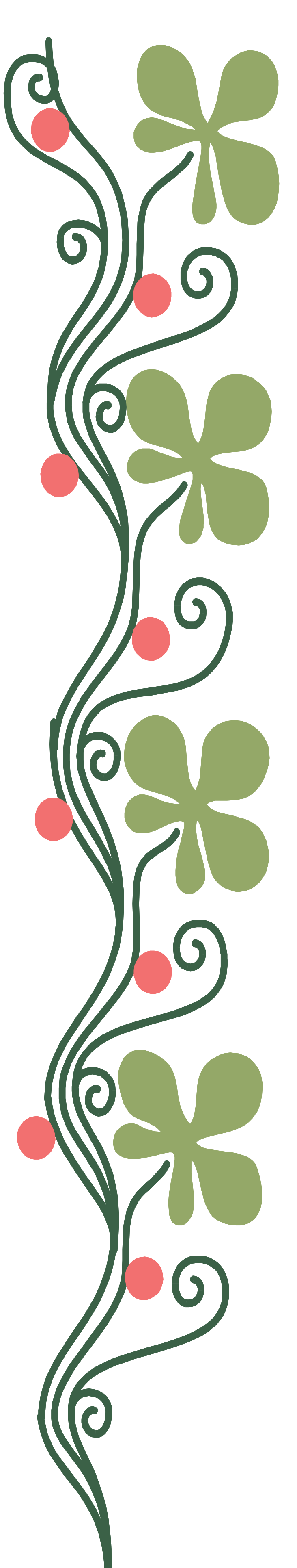
التوقيع :
الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور
صالح حسن عبد
عضواً

التوقيع :
الاسم : الاستاذة
نبيلة عبد المنعم داود
عضواً ومشرفاً

التوقيع :
الاسم : الاستاذ الدكتور
عبد الامير عبد حسين دكسن
رئيس اللجنة

صدقت من قبل مجلس كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

التوقيع :
الأستاذ المساعد الدكتور: عبد السلام بديوي يوسف
العميد
التاريخ   /   / ٢٠٠٢





الاهداء

الاهداء

عندما نريد ان نقدم شيئاً لشخص ما

يكفينا قليل من الكلام

لكن عندما يكون هذا الشخص

قد كرس حياته لأجلك ...

وجهده لمساعدتك ...

ووقته لقضاء متطلباتك ...

وترك العالم ليعيش في عالمك ...

عندها تكون الألسن عاجزة
ان نطقت ...

والاقلام عاجزة ان كتبت ...

فقد وقفت ساعات بل ايام غير
قادرة عن التعبير عما اريد

فاليك يا محمد ... وباعتزاز ...

اهدي هذا الجهد



شكر وتقدير

أولاً ، اشكر الله سبحانه وتعالى الذي شق سمعي وبصري وانار لي طريقاً للعلم ، فله الشكر والحمد .

ويسعدني ويشرفني ان اتقدم بالشكر الجزيل الى عمادة كلية التربية للبنات لما قدمته من مساعدات مادية ومعنوية ، واخص الدكتور الفاضل عبد السلام بديوي يوسف عميد الكلية متمنيه له دوام الصحة والتوفيق ، كما اتقدم باعتزاز كبير للجهود الكبيرة والتوجيه السديد الذي غمرتني به استاذتي الفاضلة المشرفة الدكتورة خولة شاكر محمد الدجيلي وانحني لها احتراماً وتقديراً لتحملها اعباء البحث ومشاقه خطوة بخطوة دون كلل او ملل وكان لتشجيعها الاثر الكبير في بناء هذه الرسالة واخراجها بهذا الشكل ، فلها مني خالص الاماني بالتوفيق والصحة الدائمة .

وللحاج عامر الدليمي كل العرفان والامتنان ، فلن انسى ما حييت رعايته الابوية لي ، ومتابعته المتواصلة معي ، وتشجيعه الدائم، وتقديمه كل انواع المساعدة ، فكان لي خير عون ، راجيه من الله ان يمتعه بموفور الصحة والعمر المديد ويجزيه عني خير الجزاء .

والى من غمرتني بفيض دعواتها وحبها اللا محدود ، وكانت فعلاً الشمعة التي تحترق من اجل ان تنير لنا طريقنا ، امي ، رعاها الله واطال عمرها ، ومنحها موفور الصحة والعافية ، وجعلها رمزاً وسنداً لنا ، وخيمة نستظل بظلها ، حفظها الله من كل سوء .

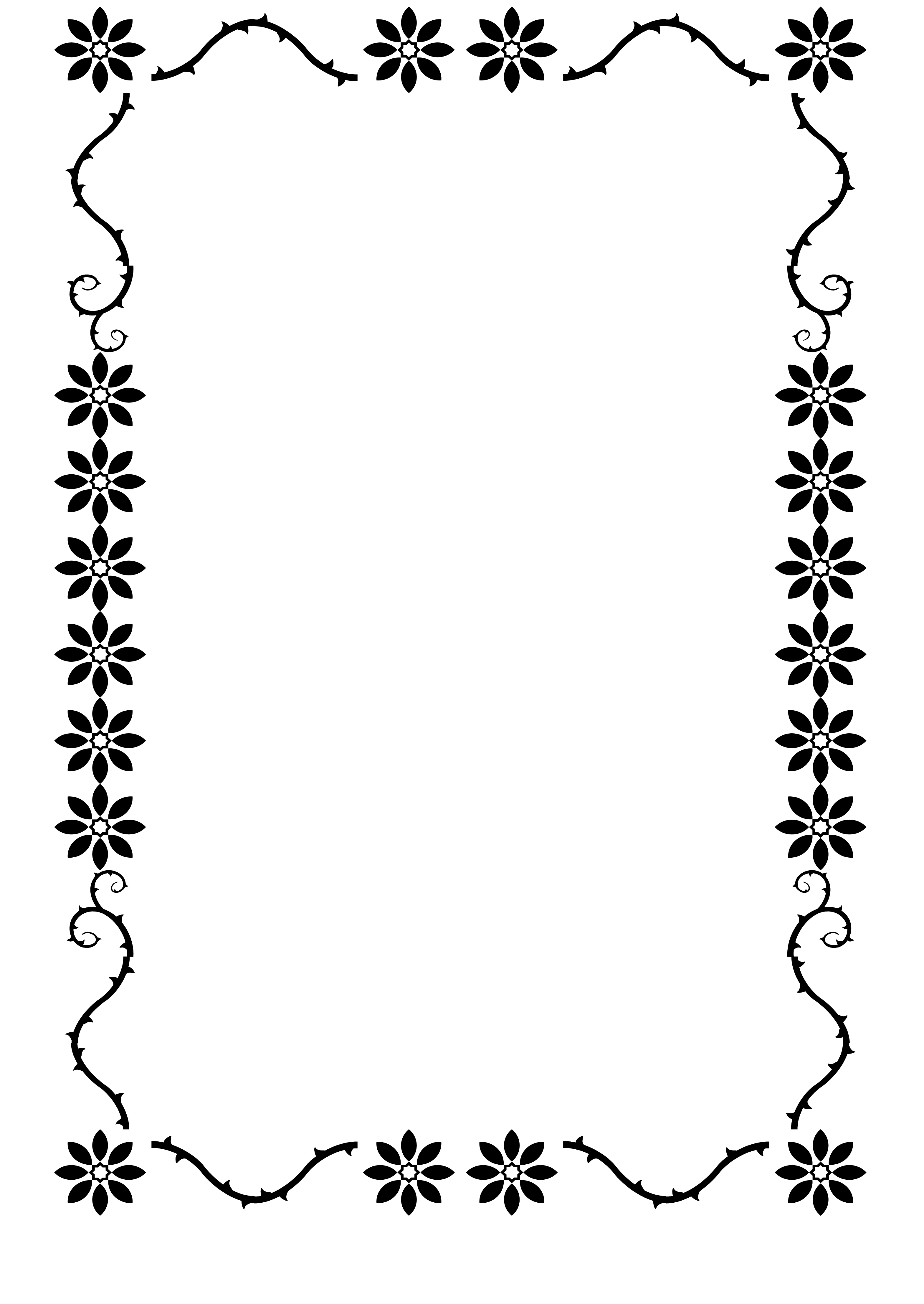


والى من ساندوني طوال أيام دراستي ، اخوتي وفقهم الله .

والى من تحملت بعدي وانشغالي عنها ، وهي بامس الحاجة الي ، ابنتي الحبيبة رُلى رعاها الله ووفقها ومنحها الصحة والسعادة .

ولا يفوتني ان اشكر كل الاساتذة الافاضل الذين قدموا لي ما باستطاعتهم من نصائح وتوجيهات دعمت الرسالة ، شاكرة لهم مساعيهم الخيرة ومتمنية لهم دوام التقدم .

واعترافاً بالجميل ، اشكر ومن كل قلبي من اسهم في تخفيف اعباء البحث بكلمة رقيقية او ابتسامة عذبة او بدعم من أي نوع كان ، وهم موظفي وموظفات المكتبة المركزية في الوزيرية ، مكتبة المتحف العراقي ، مكتبة كلية المأمون الجامعة ، مكتبة جمعية الشباب المسلمين، مكتبة كلية التربية للبنات ، مكتبة قسم التاريخ في كلية التربية . والى كل الزملاء والزميلات لهم مني فائق الاحترام والتقدير .





المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

الحمد لله رب العالمين الذي منح الانسان العقل وحثه على طلب العلم والتعلم، وجعله أمانة وفرضاً . وكرم البشر بأحسنهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه اجمعين ، الذي حمل نور الهداية والعلم والاخلاق الحميده ، وجسّد بسيرته الشريفة روح الاسلام ومعانيه السامية العميقة ومنها حسن الاخلاق والسيرة وصدق التعامل مع المودة والرحمة ، فكان المثال المحتذى والاسوة الحسنة .

اما بعد ، فالدراسات الاكاديمية التي تهتم بالكشف عن الابعاد الحضرية والحضارية العربية الاسلامية ، نادرة في دراساتنا العلمية ومكتباتنا العربية ، لكنها أخذت تحظ الآن بالاهتمام المطلوب الذي يوضح جانباً مشرفاً من مظاهر حضاراتنا التي تشكل أفضل وأروع حلقة من حلقات الحضارة الانسانية .من هنا ، تُعد دراسة الاسواق ، خططها وتطورها وأثرها في الحياة العامة بمختلف مظاهرها، السياسية والاجتماعية والفكرية ، وهو صلب موضوع الرسالة ، أمراً في غاية الاهمية والصعوبة في آن واحد . لان من الطبيعي ان تشكل الاسواق مركز النشاط الاقتصادي لأي امة ، لكن توضيح آثارها الاخرى في حياة الناس أمر جديد وفي غاية الاهمية ، بعدها تمس حياة الناس مساً مباشراً وغير مباشر ومتنوع التأثير ، مما ترك بصمات واضحة ومؤثرة في مسيرة المجتمع العربي الاسلامي ، ولاسيما في العصور الاسلامية . اذن فهذا الموضوع من المواضيع العالية الاهمية والمسؤولية خاصة ونحن نعيش عصراً يشهد هجمة وحشية على الاسلام والعروبة يحاول سلبها كل اصيل وجميل وتشويهه .

لذا هممتُ اماطـة اللثامـة عن ابعاد هذا الموضوع ، قاصده الوصول للحقيقية والوجه الناصع للعروبة والاسلام .

ومن الامور المهمة التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع ، ان الكتب المؤلفة عن الاسواق والتجارة وغيرها من الامور التي تدور حول المحور نفسه لم تتطرق الى المشاركات السياسية والاجتماعية والفكرية لاهل السوق ، وأثرها في الحياة العامة ، لذا بقيت مثل هذه المواضيع تحتاج الى دراسة وتوضيح ، ولاسيما اذا ما عرفنا أن مادتها قليلة ومتناثرة في ثنايا عدد كبير من مصادرنا القديمة ، وتحتاج الى تنظيم ودراسة وبحث منهجي دقيق ومتقن .

ان الحقبة التي شملها البحث بالدراسة تمتد من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس الهجري لها اهمية خاصة في مجرى التاريخ العربي الاسلامي . فخلالها ارست الدولة قواعدها على وفق أسس تنظيميه دقيقة ، وبنيت فيها بغداد الاصيلة على يد الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر المنصور على وفق أسس حضرية مميزة جعلتها تشكل واجهة حضارية راقية تفتخر بها الانسانية . ثم تبعتها الخطوة الحضرية الفاعلة الاخرى التي اتخذها المنصور الا وهي اخراج الاسواق الى خارج المدينة ، وما نتج منه من تطور مدهش في خطط الاسواق ، ونمو العلاقات الطيبة بين اهل السوق ، وتنامي دورهم في شتى المستجدات السياسية والاجتماعية والفكرية . وشهدت هذه الحقبة ايضا نشاط الحركة الفكرية وظهور عدد من رجال العلم والفكر في شتى التخصصات ، وكان من بينهم جماعة كبيرة من أهل السوق . لذا لعبت الاسواق بمختلف منتسبيها دوراً حيوياً مهماً في مجتمع الدولة العربية الاسلامية ولاسيما عبر الحقبة الزمنية المحددة السابق ذكرها .

وآشتمل البحث على مقدمة وأر بعة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع مع ملخص باللغة الانكليزية ، عرّفت بالموضوع وجسدت اهميته ، **فالفصل الاول** الذي حمل عنوان **(الاسواق وأثرها في الحياة العامة حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي)** كان استعراضاً وتمهيداً تاريخياً سريعاً لتطور الاسواق وأثرها حتى بناء

بغداد في عام ١٤٥هـ / ٧٦٢م. تناولنا فيه التعريفين اللغوي والاصطلاحي للسوق ، وطبيعة الاسواق العربية قبل الاسلام . وبما ان الاسلام كان الحدث الاهم الذي عرفته البشرية ، لذا كان من الطبيعي ان يؤثر تأثيراً قوياً في مجمل الحياة الاقتصادية بما فيها فعاليات الاسواق المختلفة واخلاقيات أهلها، وبينت أثر أكرم البشر وخلفائه (رضوان الله عنهم) في النهوض بمهمة مراقبة الاسواق ، ثم عرضت بشكل مركز الاثر الذي لعبته الاسواق من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية في هذه الحقبة وتتطرقت أخيراً الى أثر بناء بغداد في تطور الاسواق .

وابتداءاً من **الفصل الثاني** وكان عنوانه (**أثر السوق السياسي في الحياة العامة في العصر العباسي**) ، دخلنا في صلب موضوع الرسالة . وحاولنا ان نتتبع قدر الامكان مشاركة أهل السوق في الاحداث السياسية وكيفية تفاعلهم معها واثراها فيهم ، بعدها أكثف شرائح المجتمع عدداً . وعبر هذا الفصل يظهر دورهم الواضح في طبيعة الاحداث السياسية التي عاشتها الامة انذاك .

و**الفصل الثالث** الذي بين (**اثر السوق الاجتماعي في الحياة العامة في العصر العباسي**) . فمن البديهي ان يكون لاهل السوق مشاركة فاعلة في مختلف المناسبات والاحداث الدينية والاجتماعية ، ذلك عن طريق اظهار الفرحة وانواع الزينة كل حسب صفته المهنية ، او بالعكس . من هنا ، اتسمت مشاركاتهم بقدر كبير من الحيوية سواء في المناسبات المفرحة أو الحزينة .كما بينا جانباً مهماً من حياة أهل السوق وهو تكاتفهم وتعاونهم مع بعضهم وترابطهم المهني الذي يظهر واضحاً جلياً في اوقات الازمات . واستكمالاً لوحدة هذا الفصل ، اشرنا الى أهم الابنية الملحقة بالاسواق كالجوامع والمدارس والمستشفيات وغيرها على اعتبار ما تلعبه هذه المؤسسات من دور اجتماعي يكُمل الاثر الاجتماعي للسوق .

واهتم **الفصل الرابع** بدراسة وتتبع (**أثر السوق الفكري في الحياة العامة في العصر العباسي**) . تناولنا فيه الاثر الفكري المهم الذي لعبه سوق الوراقه والوراقين العلماء ، وبينا أثر الورق في نشاط الحركة العلمية آنذاك ، وأشرنا الى حقيقة مهمة

وهي تحول دكاكين الوراقين الى منتديات ثقافية ضمت العديد من العلماء والادباء ، وعُقدت فيها الحلقات والمجالس العلمية . واشتمل هذا النشاط على اصحاب الحرف الاخرى اذ كان اغلبهم من المحبين للعلم والمهتمين بالعلماء .

وواجه البحث صعوبات جمه اهمها ندرة المادة العلمية التي تشكل صلب الرسالة وتناثرها في ثنايا عدد كبير جداً من مصادرنا القديمة، التي لم أجد فيها الا أشارة من جملة واحدة.

ومع هذا فلله تعالى الحمد والشكر الذي اعانني على جمع مادة رسالتي . فقد أمدني أقدس الكتب واشرفها ، القرآن الكريم ، بالأساس الشرعي الرصين لها بعده الاصل الاول في التشريع الاسلامي ، إذ ضم العديد من الآيات التي تناولت احكامها تنظيم العمل الأقتصادي وتنشيطه بشتى صوره . فضلاً عن أحاديث أفضل الرسل وأكرم البشر التي اكملت توضيح الكثير من جوانب عمل الأسواق .

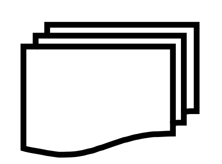
أما المصادر التاريخية ، فهي كثيرة ومتنوعة ، يأتي في مقدمتها كتاب : تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري . ومع انه اهتم بالجوانب السياسية ، لكنه اورد نصوصاً مهمة ، افادت البحث جداً . كذلك كتاب : تجارب الامم لمسكوية الذي اورد معلومات افادت في توضيح تأثير أهل السوق في الأحداث السياسية وأثرهم فيها ، وأخرى تخص الشطار والعيارين .اما كتاب المنتظم لابن الجوزي فيعد كنزاً ثميناً في معلوماته عن حياة أهل السوق ، ولا سيما التجار منهم ، السياسية والاجتماعية والفكرية . وكان لكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي أثر مهم وبخاصة نصوصه التي تتحدث عن بغداد وجوانبها وأثارها الحضارية .

وأفادت كتب المكتبة التاريخية الجغرافية البحث فائدة جُلّى ، ككتاب : البلدان لليعقوبي ، وكتاب : احسن التقاسيم للمقدسي ، وكتاب : معجم البلدان لياقوت الحموي وغيرها ، وكلها قدمت معلومات جميلة ونادرة عن خطط السوق والابنية الملحقة به ومشاركات أهله المهنية في المناسبات المختلفة .

وقائمـة الكتب الادبيـة التـي أعتمـدتها طويلـة ، بعـدها المرآة التـي تعكس صـور الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية آنذاك . ففي كتاب : نشوار المحاضرة للتنوخي نصوص مفيدة توضح جوانب مهمة لأهل السوق . وكذا كتاب : الاغاني لابي فرج الاصفهاني الذي حوى معلومات مهمة وضحت مواقف أهل السوق من السلطة . وتّعرض الجاحظ في كتابه : البيان والتبيين الى حياة الترف التي عاشها التجار في العصر العباسي ، مقدماً لنا عن طريقه صوراً تنبض بالحيوية لطبيعة المجتمع على اختلاف فئاته آنذاك ، فضلاً عن كتبه الأخرى .

أما المراجع الحديثة ، فلا غنى عنها لأي باحث ، لانها تقدم صورة مجملة واحياناً تفصيلية للكثير من الأمور . وهنا افادنا كتاب : اسواق بغداد للدكتور حمدان الكبيسي في تتبع اسواق بغداد وتطورها ونشاطها الاقتصادي . كذلك كتاب : تجارة العراق للمسري الذي يتطرق الى حياة التجار وأثرهم السياسي وخاصة في حالات الفتن والازمات المالية ودورهم الاجتماعي . وافدت كثيراً من كتاب : العلاقات بين العرب والصين لمؤلفه بدر الدين حي الصيني كونه يتناول بالحديث صناعة الورق وانتقالها ليد العرب والمسلمين ، واثره في نشاط الحركة الفكرية العربية الاسلامية في العصر الوسيط .

وأخيراً ، وبعد هذا الجهد الطويل ، نقول ان أهم ما غرسه الاسلام واخلاق العروبة العالية هو حب العلم وبذل الغالي والنفيس في طلبه واُعلاء شأنه وشأن العلماء . وجهدي هذا ما هو الا بذرة اولى في هذا الطريق الشاق والطويل ، لكنه يستحق كل البذل والعناء ، ولنا في علماء امتنا السابقين الافذاذ القدوة الحسنة ، وحسبنا اننا قدمنا جهداً بسيطاً يُضاف الى بحر العلم العميق ، نرجو من العلي القدير ان يحظى باهتمام من يهمهم الأمر ، فأفيد منهم في تحديد النواقص وتلافي الأخطاء فالكمال لله تعالى وحده ، فهو علاّم كل شيء ، والشكر والحمد له .



١. السوق لغة واصطلاحاً

وردت لفظة السوق في المعجمات العربية [١] ، اذ اشتقت من سَوق الناس بضائعهم إليه – أي الى السوق – [٢]. والسوق مصدره : ساقه ، والسيقه هو ما استيق من الاشياء [٣]، ويرجح الزمخشري أن سبب تسمية السوق بهذه اللفظة يرجع الى سوق الأرجل إليها [٤].

وعليه فالسوق لفظة تطلق على المكان الذي يجتمع فيه الناس لاغراض البيع والشراء [٥] ، فهو موضع البياعات [٦] ، يمارس فيه الناس نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي . وجاء قوله تعالى في محكم كتابه العزيز:﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [٧] . فالمعنى الذي اراد القران الكريم ان يحدده هو المكان الذي تُباع فيه الاشياء وتُشترى [٨] ،سواء أكان هذا المكان مكشوفاً أم مسقفاً [٩] .

---

(١) ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ج١٠ ، بيروت – ١٩٥٥ ، ص١٦٦ .

(٢) الازدي ، ابو بكر محمد بن الحسن ، جمهرة اللغة ، ج٣ ، بيروت – ١٣٤٥هـ ، ص٤٤.

(٣) ابن فارس ، ابو الحسين احمد ، مجمل اللغة ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، ج٢ ، العراق – ١٩٨٤ ، ص٤٧٩ .

(٤) جار الله ابو القاسم ، اساس البلاغة ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، ط١ ، القاهرة – ١٩٥٣، ص٢٢٥ .

(٥) المصري ، احمد شهاب الدين ، نسيم الرياض ، ج١، ١٣٢٥هـ ، ص١٤٩ .

(٦) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس ، تحقيق : مصطفى حجازي ، القاهرة – ١٩٦٥، ص٤٨٢ .

(٧) سورة الفرقان ، آية : ٧ .

(٨) وجدي ،محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين،مج٥ ،ط٣، بيروت– ١٩٧١،ص٣٢٣.

(٩) البستاني ، بطرس ابراهيم ، دائرة المعارف ، مج ١٠ ، مصر – ١٨٩٨ ، ص٢٣٥ .

وارتبط السوق ، لاهميته، بحياة الانسان منذ البدايات الاولى لعيشه على شكل جماعات فبعد تفاعله مع قوى الطبيعة ، اخذ عقله بالنمو وازدادت خبراته عندها ادرك قيمة العيش واهميته وعلى شكل مجموعة لما تحققه له وللآخرين من إحساس بالامن والطمأنينه من جهة ولمساعدته في سد حاجاته المختلفة على اعتبار ان الانسان كائن اجتماعي ، لذا دفعه حسّهُ هذا الى الاستقرار مع آخرين في الارض وبدأ نشوء التجمعات الاولى وتحولها مع مرور الوقت الى قرى ومدن .

وان حاجات هذه المجاميع المستقرة لمختلف المواد كانت تزداد وتتنوع، وتخضع لقانون السوق في العرض والطلب منذ ذلك الوقت ، وكان لابد من اشباعها فبدأت عمليات الابتكار والتصنيع على أساس القاعدة الاقتصادية التي مفادها الحاجة ام الاختراع . كما ظهرت صور كانت بسيطة أول الامر لكنها أخذت تنمو وتتطور نحو الافضل ، للتبادل والتعامل المالي والتجاري كان اقدمها طريقة المبادلة او المقايضة بمختلف صورها .

من هنا بدأت تتشكل البدايات الاولى والبسيطة للسوق ، وأضحى مكاناً لتجمعات الناس ، وامسى مكاناً يحسب له حساباً في خططهم المعماريه البسيطة اليسيرة آنذاك . ولا بد من الاشارة الى رواية تذكرها بعض المصادر مفادها أن القرية التي بناها النبي نوح (عليه السلام) بعد انتهاء الطوفان كانت تسمى (سوق ثمانين) نسبة الى عدد الاشخاص الذين كانوا معه [1] ، فالحق عز وجل يذكر في محكم كتابه العزيز : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [2] فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى بنجاة النبي نوح (عليه السلام) من الطوفان ، وان الرحلة مأمونة ، وان دعوته

---

(١) ابن قتيبة ،ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، عيون الاخبار ، ج١ ، بيروت – ١٩٢٥، ص٢١٤ ؛ الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ج١ ، القاهرة– ١٩٦٧، ص ١٨٩.

(٢) سورة المؤمنون ، الايات : ٢٨ ، ٢٩ .

المباركة ، وهو في طريق العودة الى اليابسة فقد هيأ الله له مكاناً خيراً له ولمن معه [١] .

كان السوق من العلائم المميزة للتمدن في التاريخ القديم ، ومن الجدير بالذكر ان اولى المراكز الحضرية التي عرفت بأسواقها المتعددة – على اعتبار ان الاسواق من المقومات الاساسية لحياة التحضر – هي الوركاء [٢] وذلك منذ مطلع الالف الثالث قبل الميلاد ، إذ وصفت انها ((**اوروك الكثيرة الاسواق**)) [٣].

وفي موضع آخر أنها ((**ذات الاسواق الواسعة**)) [٤]. ومن المحتمل وجود سوق رئيسي يقع في مركز المدينة ، اعتاد الناس التجمع فيه [٥] مع عدد اخر من الاسواق كما توحي النصوص السابقة .

---

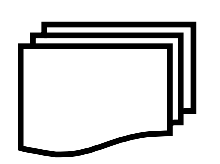
(١) الخطيب ، عبد الكريم ، التفسير القراني للقران ، مج٥ ، ج١٨ ، القاهرة – ١٩٦٧ ، ص١١٣١ .

(٢) الوركاء : موضع بناحية الروابي ، ولد بها النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) . ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ، معجم البلدان ، ج٥ ، بيروت – ١٩٥٦ ، ص٣٧٢ .

(٣) باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، ط٢ ، بغداد – ١٩٧١ ، ص٦٦ .

(٤) ن . م ، ص٦٧ .

(٥) العيفاري ، داخل مجهول مسنسل ، اصول السوق ، مجلة دراسات اسلامية ، ع٦ ، بيت الحكمة – ٢٠٠١ ، ص٢١ .



٢. الاسواق العربية قبل الاسلام

من المعروف أن السوق هو مركز الفعاليات الحياتيه والانشطة الاقتصادية اليومية لأية أمة من الامم ، ومنهم امة العرب ، فمنذ القديم عرف العرب انواعاً متعددة من الاسواق ، لبيع الفائض من منتجاتهم وشراء ما يحتاجون اليه من مواد وكانت هذه الاسواق تعرض ما يصلها من البضائع عن طريق التجارة التي برع بها العرب منذ عصور قديمة سبقت الميلاد ، واحتلوا ناصية العمل التجاري ، براً وبحراً مع مختلف مناطق العالم القديم آنذاك ، فنقلوا مختلف المواد الثمينة المطلوبة شرقاً وغرباً الى من يطلبها ، كما عرضوا في اسواقهم ما يحتاجونه منها .

عرف العرب نوعين من الاسواق ، أولها :

أ - الاسواق الموسمية :

التي تعقد في مواسم معينه من السنة وتنتهي بنهاية الموسم ، وتقام في مدد محددة وثابتة ، الغرض منها زيادة ثقة قاصديها بها [١]، ولتأكيد دورها الاقتصادي وفاعليته . وهذه الاسواق كثيرة ومتعددة ، منها سوق دومة الجندل[٢] الذي كان يعقد في شهر ربيع الاول من كل عام[٣] يقصده الناس للتجارة والراحة معاً لتوافر الماء والغذاء فيه ، فأضحى مكاناً لاستراحة القوافل [٤] . وفي

---

(١) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، مج١ ، بيروت – لا .ت ، ص٢٧٠ ؛ البستاني، دائرة المعارف ، مج١٠ ، ص٢٣٦ .

(٢) دومة الجندل : حصن ومجموعة قرى على الطريق ما بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء سكنته قبيلة كنانة من كلب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٨٧ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، مج١ ، ص٢٧٠ .

(٤) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٧ ، ط١ ، بيروت – ١٩٧١ ، ص٣٧٣ .

بدر [١] سوق موسمي يقام كل عام [٢]، وعد موسماً من مواسمهم ، يلتقون للتجارة وللتباري في اظهار الكرم العربي المعروف إتجاه الاخرين [٣] ، فالعربي يتميز بكونه من اكرم الناس واحسنهم حالاً ومعاشاً [٤].

اما سوق عكاظ [٥] الذي كان يعقد في النصف الثاني من شهر ذي القعدة فيعد من أشهر الاسواق الموسمية لما يحدث فيه من أعمال تجارية متعددة ومتنوعة ، كما كان مقصد الشعراء والادباء والحكماء ، تلقى فيه أجمل الخطب وتنشد أروع القصائد والاشعار التي كانت تُحكّم من قبل كبار القوم من الشعراء والخطباء حتى أضحوا بمثابة المحكمين النقديين . ومن الطبيعي أن مثل هذه الاسواق لم تخضع سياسياً لاية

---

(١) بدر : موقع ماء مشهور بين مكة والمدينة ، اسفل وادي الصفراء . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص٣٥٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٣٨ ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، بيروت – ١٩٧٨ ، ص٨٤ . ولم اعثر على تاريخ انعقاده .

(٣) علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٣٧٦ .

(٤) التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد ، الامتاع والمؤانسة ، تحقيق : احمد امين واحمد الزين، ط٢ ، القاهرة – ١٩٥٣ ، ص٨٠ .

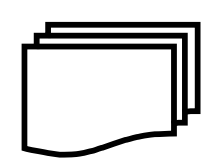
(٥) عكاظ : اسم موقع ماء يقام فيه سوق من اسواق العرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، ويقيمون بها شهراً ويتبايعون ويتناشدون ، ويوم عكاظ : هو من ايام الفجار . عبد الرحيم ، محمد، عكاظيات (المتنافسون بالشعر العربي) ، مج ٢ ، ط١ ، بيروت – ٢٠٠١ ، ص١٧١ ؛ الجمبلاطي ، علي وعبد المنعم قنديل ، اسامة بن زيد ، القاهرة – لا . ت ، ص٧ .

سلطة الا سلطة ونفوذ كبار التجار [١]، أما اسواق اليمن والحيرة والشام فقد خضعت لسلطة ملوكها من حيث تنظيمها [٢].

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، مج ١ ، ص٢٧٠ ؛ الجاسر ، حمد ، لمحات عن اسواق العرب القديمة، مجلة العرب ، ج٧ ، الرياض – ١٩٨٨ ، ص٥٠٦ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، مج ١ ، ص٢٧٠ ؛ خليل ، محسن ، في الفكر العربي الاسلامي ، العراق – ١٩٨٢ ، ص٩٨ .



ب - **الاسواق الثابتة :**

تلك الاسواق القائمة طوال أيام السنة ، يقصدها الناس لغرض البيع والشراء، وتكون إما على الطرق بين المدن أو في داخل المدينة ليستطيع البائع عرض بضاعته كل يوم ، وكان الباعة يضعون بضائعهم على الدكك التي تبنى لهذا الغرض، وجدت الدكاكين أيضاً وهي ملك لكبار الباعة [١].

وأهم هذه الاسواق سوق الطائف [٢] التي يعرض بها أهلها منتوجهم من الجلود ، إذ شتهروا بهذه الصناعة وتميزوا بكثرة مدابغهم ، وشاركتهم في هذه الصنعة مدن اليمن المختلفة فآزدهرت أسواقها وعرضت بها هذه المادة التي استعملت في صناعة الاحذية والسروج وأدم الكتابة والدروع ، اما الشام فعدت من الأسواق المهمة التي اشتهرت بعرض منتجاتها من الزيت والزبيب [٣]، اما بغداد ، فاشتهرت بسوق عظيمة كانت مقصد اهل البياعات من كل الانحاء [٤].

ولم تكتفِ هذه الاسواق بعرض منتجات سكانها بل اعتمدت على التبادل التجاري[٥] مع الدول والمناطق المجاورة وعرضت مختلف موادهم فأمست زاخرة بالعديد من البضائع والسلع التي كانت تجلب من العراق والهند وبلاد فارس والصين ومصر والحبشة [٦] وغيرها .

---

(١) علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٣٦٥ .

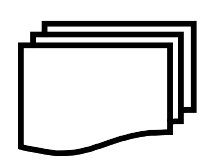
(٢) البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ،معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا،ج٤،بيروت – ١٤٠٣هـ،ص١٢٣١؛علي، المفصل،ج٤،ص١٥٣ – ١٥٦.

(٣) الافغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، دمشق – ١٩٦٠ ، ص٢٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٣ .

(٥) يوسف ، مهند مانوئيل ، اهمية العناصر المكونة للمدينة العربية القديمة في تخطيط المدينة العربية المعاصرة ، بغداد مدينة السلام ، ابحاث الندوة التي اقامها مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بالتعاون مع امانة بغداد ، بغداد – ١٩٩٠ ، ص٢٦٧ .

(٦) خليل ، في الفكر الاقتصادي ، ص٥١ .



٣. اثر الاسلام في الاسواق

أ – أثر تعاليم الاسلام في تنظيم العمل الاقتصادي ونشاطه

بعد ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية ، لعبت الاسواق دوراً بالغ الاهمية في الحياة العامة . فلم يكتفِ العرب بأسواقهم القديمة [(١)] بل سعوا الى بناء العديد منها في الامصار والمدن المحررة والمفتوحة .

وظهر أثر الاسلام واضحاً في تنظيم العمل الاقتصادي وتنشيطه بشتى صوره، إذ تناول القرآن الكريم العديد من الامور الاقتصادية فوضحها وحدد محرماتها ، واوجه الكسب الحلال وكيفية إنمائه . فالاسلام لم يحسر او يغلق أي بابا من ابواب الرزق الحلال الا وتناولها وطورها ووضع لها التشريعات المناسبة .

ومن ناحية أخرى وردت كلمة السوق في ايات عدة في القران الكريم ، منها ماجاء في سورة الفرقان ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [(٢)] ، وجاءت كلمة التجارة في قوله تعالى:﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ [(٣)] ، بل ان الحكمة الالهية ربطت بين المساجد والاسواق ، فالاسلام ليس مجرد دين بل سلسلة من انظمة مستقاة منه نظمت حياة معتنقيه للافضل ، وكما يدعو الاسلام للأخرة ، يدعو للعمل الصالح في الدنيا فالمساجد اماكن للعبادة والاسواق اماكن للعمل ، فالحق تعالى يذكر في محكم كتابه العزيز﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [(٤)] .

---

(١) ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، مج ١، ص٢٧٠.

(٢) اية : ٢٠ .

(٣) سورة النور ، اية : ٣٧ .

(٤) سورة الجمعة ، اية : ٩ .

كما عالجت الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة وبصيغ مختلفة العديد من الامور الاقتصادية والاجتماعية . فقد ورد في صحيح مسلم عن تحريم الاحتكار قول افضل البشر (ﷺ) : **((لا يحتكر الا خاطئ))** (١). ولما كانت الاسواق تلك البؤرة الحضرية التي يتركز فيها النشاط الاقتصادي والاجتماعي للناس فقد تناول الكثير من الاحاديث النبوية تنظيم العلاقات الاجتماعية فيها ولا سيما بينن البائع والمشتري (٢)، منها قول الرسول الكريم (ﷺ) : **((إذا اختلف المتبايعان وليس بينهما بينة فالقول ما يقول رب السلعة او يتتركان))** (٣)، وقوله (ﷺ) : **((من اشترى طعاماً فلا يبيعه حتى يكتاله))** (٤)، وقوله (ﷺ) في التساهل في عمليات البيع والشراء : **((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذ قضى))** (٥).

---

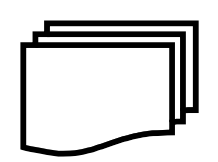
(١) مسلم ، ابو الحسين بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد ، ج٣ ، بيروت – لا . ت ، ص١٢٢٨ ؛ الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخرون ، ج٣ ، بيروت – لا . ت ، ص٥٦٧ ؛ ابو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني ، سنن ابي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج٣ ، دار الفكر – لا . ت ، ص٢٧١ .

(٢) العيفاري ، اصول السوق ، ص٢٤ .

(٣) الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن ، سنن الدارمي ، تحقيق : فواز احمد زمري وخالد السبع العلمي ، ج٢ ، بيروت – ١٤٠٧هـ ، ص٣٢٥ ؛ الطبراني ، سليمان ابن احمد بن ايوب ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، ج١٠ ، الموصل – ١٩٨٣، ص١٧٤ .

(٤) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، ص١١٦٠ ؛ البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي ، سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ج٥ ، مكة المكرمة – ١٩٩٤ ، ص١٣٣ .

(٥) مالك بن انس ، موطأ مالك ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج٢ ، مصر – لا . ت ، ص٦٨٥ ؛ البخاري ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا، ج٢ ، بيروت – ١٩٨٧ ، ص٧٣٠ .



ب – ارجاع أهل السوق أصل حرفهم الى اشخاص الانبياء والرسل

أشارت المصادر القديمة الى قضية في غاية الاهمية وهي محاولة الربط بين شخوص الانبياء والرسل الاكرمين وبين أهل الاسواق والحرف مما يؤكد فاعلية الاسواق في حياة الناس واثرها فيهم .

وذكرت هذه المصادر أن الانبياء (عليهم السلام) امتهنوا حرفاً مختلفة . فعلى سبيل المثال كان النبي أدم (عليه السلام) حائكاً [1]، وان النبي ادريس(عليه السلام)كان خياطاً [2]، اما النبي نوح (عليه السلام) فكان نجاراً [3]، وكذلك النبي ابراهيم (عليه السلام) [4] ، والنبي داود (عليه السلام) كان حداداً [5] ، وكان النبي سليمان عارفاً بالأدوية [6]، وكان النبي عيسى (عليه السلام) نجاراً [7]، اما أكرم الرسل محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد كان تاجراً [8] أميناً عدلاً ونجاحه في عمله هو الذي دفع الكثيرين الى الوثوق به ، ومنهم السيدة

(١) الحبشي، ابو عبد الله محمد ، البركة في فضل السعي والحركة، بيروت – ١٩٧٨،ص٦.

(٢) البيهقي ، ابراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوئ ،بيروت – ١٩٧٠ ، ص٣٦٥؛ الابشيهي، شهاب الدين محمد ،المستطرف في كل فن مستظرف،ج٢ ، دار الفكر – لا . ت ،ص٥٨.

(٣) الشيباني ، محمد بن الحسن ، الكسب ، تحقيق : سهيل زكار ، ط١ ، دمشق – ١٩٨٠ ، ص٣٥؛ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، اخبار الزمان (منسوب) ، ط٢ ، بيروت – ١٩٦٦ ، ص٨٢ .

(٤) الحبشي ، البركة ، ص٦ .

(٥) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك ، لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الابياري وحسن وحسن الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة – ١٩٦٠ ، ص٨ .

(٦) ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، ليدن – ١٨٩٢، ص١٩٩ .

(٧) موسوعة الكتاب المقدس ، دار منهل الحياة – ١٩٩٣ ، ص٣٣٩ .

(٨) ابن سعد ، محمد بن منيع ،الطبقات الكبرى، ج١،بيروت – ١٩٥٧،ص١٥٦؛ابن قتيبة ، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة ، القاهرة –١٩٦٩،ص ١٥٠؛ المسعودي،التنبيه والاشراف، تحقيق:عبد الله اسماعيل الصاوي، مصر – ١٩٣٨، ص١٩٧؛المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١،مصر – ١٩٥٨، ص٧٥؛ ابن الجوزي ،ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفوة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري ،ج٢، بيروت – ١٩٧٩ ، ص٧؛ المزي، جمال الدين ابو الحجاج، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق :بشار عواد معروف،ط١،ج١،بيروت– ١٩٨٠، ص١٨٩؛

Grunebaum .Gustave E.Von,Medieval Islam,The university of chicago,1953,P.216.

خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) ، التي استأمنته على تجارتها إذ بلغها صدقه وامانته وسمو اخلاقه (١). فضلاً عن ذلك ذكر ان الرسول الكريم (ﷺ) كان يحضر خطب قس بن ساعدة الايادي (٢) في السوق ويستمع لمواعظه (٣).

وجرت عادة أهل السوق ارجاع حرفهم الى شخوص الانبياء والرسل، لاعتقادهم انهم يحققون أصالة الحرفة من معرفة النبي الذي احترفها ، واحاطتها بهالة من القدسية ، وبذلك يحصل ((**الاطمئنان لطالبها وتزيد رغبته فيها**)) (٤). كما اعتقدوا ان ان معرفة الاولياء الصالحين الذين احترفوا المهنة تحلل الكسب وتنميه(٥) وحتى ان التفاضل فيما بينهم حول هؤلاء كثير ما كان يؤدي الى التنازع (٦).

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٨٠ .

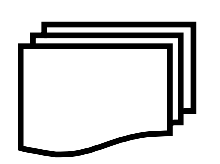
(٢) قس بن ساعدة : بن عمرو بن مالك، من بني اياد ،احد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم، خطبائهم، قيل انه اول عربي يخطب متوكئاً على سيف او عصا، واول من قال في كلامه: اما بعد، يُعدُ من المعمرين حيث طالت حياته وادركه النبي (ﷺ) قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وقد صدّق الرسول قبل مبعثه. الجاحظ ،عمرو بن بحر ، البيان والتبيين،ج١، بيروت – لا. ت، ص٣٠٨؛ الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين ، الاغاني ، تحقيق: يوسف علي الطويل ، ج١٥، دار الفكر – ١٩٨٦،ص٢٣٧؛ الزركلي، خير الدين ، الاعلام ،ج٥ ، بيروت – ١٩٧٩، ص١٩٦.

(٣) ابن شداد ، عز الدين ابو عبد الله ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق : : دومينيك سورديل ، ج١ ، ق١ ، دمشق – ١٩٥٣ ، ص٥٣ ؛ علي ، محمد كرد ، رسائل البلغاء ، القاهرة – ١٩٥٤ ، ص٢٨٢ .

(٤) السكتواري ، علاء الدين علي ددة بن مصطفى ، محاضر الاوائل ومسامرة الاواخر ، ط١، القاهرة – ١٣١١هـ ، ص١٩٤ .

(٥) ن ، م ، ص١٩٣ .

(٦) ن ، م ، ص١٩٣ – ١٩٤ .



ج – دور الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضوان الله عنهم) في الاشراف على الاسواق

بعد ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية ، جعل أفضل الخلق (ﷺ) الاشراف على الاسواق من بين مسؤولياته، فمارسها بنفسه الكريمة . فكان كثير التردد على الاسواق يتفقدها ويتعرف على أحوال الناس، ويتابع عمليات البيع والشراء منهياً ومانعاً لعمليا الغش والتزييف[1].وكان(ﷺ) على علاقة جيدة بأهل السوق اتسمت بالود ومساعدة المحتاج[2]،بل كان يتقبل استضافتهم له على الطعام[3]، وكان تواضعه وبساطته موضع اعجاب وتقدير الجميع ، هذا التواضع الذي كان قد أثار استغراب المشركين وفي الكثير من تساؤلاتهم [4]، وأشار الباري عز وجل الى هذا بقوله : ﴿

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص٥٨٨ ؛ الاصبهاني ، ابو نعيم احمد ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ج٤ ، بيروت – ١٩٦٧ ، ص٣٠٠ ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج١ ، ص٨٥ ؛ الفاطمي ، ابو الخطاب عمر ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تحقيق : عباس العزاوي ، بغداد – ١٩٤٦ ، ص٢٨ ؛ ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء ، البداية والنهاية ، ج٣ ، بيروت – لا. ت ، ص١٨ ؛ ابن سيد الناس ،محمد بن محمد ، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ج٢ ، بيروت – لا . ت ، ص٧٣ ؛ الكتاني ، عبد الحي عبد الكبير ، التراتيب الادارية ، ج٢ ، بيروت – لا . ت ، ص١٦٣ .

(٢) ابن ابي طالب ، يحيى بن الحسين ، تيسير المطالب في امالي الامام ابي طالب ، تحقيق : جعفر بن احمد ، ط١ ، بيروت – ١٩٧٥ ، ص٣٩ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣٩١ .

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٣٠ ؛ ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، ج٥ ، الرياض – ١٩٤٠ ، ص٣ ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ، ص٢٤ ؛ المصري، احمد شهاب الدين ، نسيم الرياض ، ج٤ ، مصر – ١٣٢٧هـ ، ص٢٣٩ .

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [1]، جرت عادته (ﷺ) اذا ما دخل سوقاً ان ويقول : ((**بسم الله اللهم اني اسالك خير هذه السوق وخير ما فيها واعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب يميناً فاجره او صفقه خاسرة**)) [2].

وكان (ﷺ) القدوة الحسنة فيما يتعلق باداب السوق ، إذ وصفته ام المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) انه (ﷺ)، لم يكن ((**صخاباً في الاسواق**)) [3]. وفي احد المرات مر الرسول الكريم (ﷺ)على احد الاسواق ، فوجد خيمة داخله تعيق الحركة ، فأمر باحراقها [4]. وكان (ﷺ) في بعض الاحيان يضع من ينوب عنه في أمور السوق ، هذه الانابة هي التي شكلت لاحقاً وظيفة العامل على السوق ، إذ استعمل سعيد بن العاص[5]على سوق مكة ، وعمر بن الخطاب(رضي الله عنه) على سوق

---

(1) سورة الفرقان ، اية : ٧ .

(2) الروياني ، محمد بن هارون ، مسند الروياني ، تحقيق : ايمن علي ، ج١ ، القاهرة – ١٤١٦هـ ، ص٧٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق :مصطفى عبد القادر ، ج١ ، بيروت – ١٩٩٠، ص٧٢٣؛ النووي ،محي الدين بن زكريا بن شرف ، الاذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ، بيروت – ١٩٧٣ ، ص٢٧٠.

(3) ابن ابي شيبة ، ابو بكر عبد الله بن محمد ، مصنف بن ابي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف ، ج٥ ، الرياض – ١٤٠٩هـ ، ص٢١١ ؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد التميمي ، صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، ج١٤ ، بيروت – ١٩٩٣ ، ص٣٥٥ ؛ ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تهذيب : عبد القادر بدران ، ج١، بيروت – ١٩٧٩ ، ص٣٢٤ .

(4) السمهودي ، نور الدين علي بن احمد ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، ج٢ ، بيروت – ١٩٥٥، ص٧٤٥ .

(5) سعيد بن العاص : الاموي القرشي ، صحابي ولد عام ٣هـ /٦٢٤م ، اتصف بالقوة والشدة، كان احد كتبة المصحف الشريف زمن الخليفة عثمان بن عفان ، تولى الكوفة من قبله ،

المدينة [1]، ويذكر انه (رضي الله عنه) ولى سمراء بنت نهيك الاسدية [2] أمر السوق ، فكانت تحمل سوطاً عندما تؤدي عملها [3].

وسار الخلفاء الراشدين (رضوان الله عنهم) على هدى سيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فباشروا بانفسهم مهمة الاشراف على الاسواق ومراقبتها ومتابعة احوالها ،مؤكدين حرصهم على منع الغش وعدم التلاعب بالاوزان والمكاييل، فضلاً عن انهم كانوا اصلاً من اهل السوق. فالخليفة الراشدي الاول ابو بكر الصديق (رضي الله عنه)

فتحت طبرستان على يده ، توفي عام ٥٩هـ /٦٧٩م . ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله ، الاستيعاب في اسماء الاصحاب ، ج٢ ، مصر – ١٩٣٩ ، ص٨ – ١١ .

(١) الحلبي ، علي بن برهان الدين ، انسان العيون في سيرة الامين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ،ج٣ ،القاهرة – ١٩٦٢ ،ص٣٦٥؛الكتاني،التراتيب الادارية،ج١،ص٢٨٦.

(٢) سمراء بنت نهيك الاسدية : صحابية جليلة ، لها مجالس في الوعظ والارشاد كانت تمر في الاسواق وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتضرب المخالفين بالسوط . ابو داود ، مسائل الامام احمد ، صححه وعلق عليه : محمد بهجة بن محمد بهاء الدين بن علي البيطار الدمشقي ، ج١ ، بيروت – لا . ت ، ص٢٤٣ .

(٣) ابو داود ، مسائل الامام احمد ، ج١ ، ص٢٤٣ ؛ الشيخلي ، نجم الدين عبد الله ، الحسبة ودورها في حماية السوق ، مجلة دراسات اقتصادية ، ع ٤ ، بغداد – ٢٠٠٠ ، ص٤٧ .

كان بزازاً [١]، وله مال يتاجر به[٢].حتى ولي الخلافة فترك عمله وتفرغ لادارة شؤون الامة ،عندها فرض له راتب بسيط من بيت مال المسلمين[٣].

وكانت حرفة الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) البزازة أيضاً [٤]، وبعد توليه الخلافة وجّه الكثير من اهتمامه الى الاسواق فكان دائم الطواف بها[٥]، حاملاً درته مؤدباً بها من يتجاوز أحكام السوق [٦]، هذا بالاضافة الى تعيينه من يقوم بمهمة الاشراف على السوق[٧]، ويذكر عنه(رضي الله عنه) تعيينه الشفاء بنت عبد الله

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧٥ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٢١٥ ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ، ص١٠٣ ؛ العظم ، رفيق ، اشهر مشاهير الاسلام في الحروب السياسية ، ط٥ ، مج١ ، ج١ ، مصر –١٩٤١ ، ص١١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٧٢ ؛ ابن الجوزي ، الاذكياء ، ط٣ ، بيروت – ١٩٧٩ ، ص٢٨ ؛ الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد الفهري ، سراج الملوك ، القاهرة– ١٩٣٥، ص٢٤١ ؛ الكتبي ، محمد بن شاكر ، عيون التواريخ ، ج١، القاهرة – ١٩٨٠ ، ص٥٢ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر – ١٩٥٢ ، ص٣١؛ الافغاني ، اسواق العرب ، ص١٣١.

(٣) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج١ ، ص٢٥٧؛ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،ج٣ ،القاهرة – لا . ت ، ص٦٤ ؛ الطنطاوي ، علي ، ابو بكر الصديق ، جدة – ١٩٨٦ ، ص١٨٤.

(٤) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص١٠٣ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٠ ؛ الخضري ، محمد ، تاريخ الامم الاسلامية ، ج٢ ، مصر – ١٣٨٢هـ ، ص٢٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٢٢٤ ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج٧ ، ص١٣٤ ؛ ابن الحاج ، ابو عبد الله محمد ، المدخل ، ج١ ، مصر – ١٩٢٩ ، ص٨٧ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج٢ ، ص٣٣٥ ؛ العجلاني ، منير ، عبقرية الاسلام في اصول الحكم، الرياض– ١٩٦٥ ، ص١٧٩ .

(٧) الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ١٩٧٣ ، ص٢٢٧.

بن عبد شمس على أمر السوق[1]،وفي اشارة لأهمية الاسواق وكونها مركز تجمع مؤثر في حياة الناس ،كان (رضي الله عنه) يقرأ القرآن ويقضي بين الناس في السوق احياناً ويستمع لآراء الرعية من حوله أحياناً أخرى[2]، إذ كان كثير الاهتمام بامورهم، ويذكر انه أقسم في عام الرمادة [3]أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يتخلص
الناس من شدتهم [4]، ومن المعروف عنه (رضي الله عنه) انه كان يتولى بنفسه احياناً حراسة السوق ليلاً ولا سيما إذا دخل المدينة غرباء خوفاً عليه من السَّراق[5].

اما حرفة الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فكانت البزازة أيضاً [6]، كالخليفتين السابقين ، وذكر عنه (رضي الله عنه) انه كان مهتماً بالسؤال عن اخبار السوق واسعار المواد المختلفة فيه [7]، واتخذ اجراء أراد به إفادة اهل السوق ، ذلك ان زاد عدد عدد المؤذنيين من ثلاثة الى اربعة ، وأوكل للرابع تحديداً مهمة الأذان في السوق [8]،

---

(١) ابن حزم الاندلسي ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مصر – ١٩٦٢ ، ص١٥٠ .

(٢) ابن العماد ، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج١١ ، بيروت – ١٩٧٩ ، ص١٩ .

(٣) عام الرمادة : حدث عام ١٨هـ /٦٣٩م ، سمي بذلك للمجاعة والقحط الذي اصاب الناس ، وقيل ان الارض اصبحت سوداء فشبهت بالرماد ، استمر لمدة تسعة اشهر ، وشارك الخليفة الناس مصابهم هذا حتى انه لم يركب دابة الى ان تمر الشدة ، وكان يحمل الطعام على ظهره للناس النازلين حول المدينة فيطعمهم . الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٩٦ ؛ ا بن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٩٦ ؛ خطاب ، محمود شيت ، الفاروق القائد ، ط١ ، بغداد – ١٩٦٥ ، ص١٤٦ – ١٤٨.

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٩٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٨٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٢٠٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٠ ؛ ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ، ج١ ، بيروت – لا . ت ، ص١٦٥

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧٥ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٢١٥ ؛ المقدسي ، المطهر بن الطاهر ، البدء والتاريخ (منسوب) ، ج٥ ، باريس – ١٩١٦ ، ص٨٠.

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٠ .

(٨) ابن الحاج ، المدخل ، ج٢ ، ص٢٠٧ .

وعلى ما يبدو انه اتخذ هذا الاجراء لازدحام الناس في الاسواق مما قد يحول دون سماعهم الأذان .

وعرف عن الخليفة الراشدي الرابع الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ، انه كان يقصد الاسواق كثيراً [١] ومعه الدرة [٢] ناصحاً مرة ومحذراً مرة أخرى للباعة والتجار ومذكراً إياهم قائلاً : ((**خذوا الحق وأعطوا الحق تَسْلَموا ، لا تمنعوا قليل الربح فتحرموا كثيراً**)) [٣]، وكان يمر على القصاصين ليؤدب الكذابين منهم [٤].

وبقيام البيت الاموي عام ٤١هـ / ٦٦١م استمر الإشراف على الاسواق من قبل الدولة ، وجعل الخلفاء الامويين من جملة مهامهم متابعة الاسواق وعملها . إذ كان الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ –٩٦هـ/ ٧٠٥– ٧١٥م) يشرف على السوق بنفسه ، فيراقب أصحابه ويحاسب المخالفين منهم ، ولم يكتفِ بذلك بل عين من يقوم بمهمة مراقبة السوق وسمي (العامل على السوق) وأوكلت اليه مهمة حل مشاكل أهل السوق [٥].

وروي عن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩–١٠١هـ/٧١٧ –٧١٩م) قوله في كتاب لعماله : ((**وانما السوق صدقة فلا يضرب فيه كراء**)) [٦]، إذ عرف عنه انه كان كثير الاهتمام بالسوق وأهله ، فأمر ببناء الخانات في دمشق لسكنى التجار المسافرين بما يسهل عملهم التجاري ، وطلب الى عماله في الولايات بالعمل نفسه ،

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٤٣٣ ؛ ابن ابي طالب ، تيسير المطالب ، ص١٤٠ ؛ الاصبهاني ، حلية الاولياء، ج١ ، ص٨٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٢٠١ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم ومن عاشرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ج٢ ، دار الفكر – ١٩٨٨ ، ص١٥٣ .

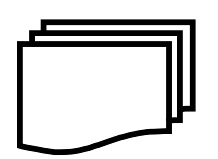
(٢) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج٨ ، ص٣١٧ .

(٣) وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة ، ج٢ ، بيروت – لا . ت ، ص١٩٦ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٢٤.

(٥) وكيع ، اخبار القضاة ، ص٣٥٣ .

(٦) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٧٣٩ .



بل أمرهم أن يتركوا الناس احراراً في عملهم بدون تأثير من أي نوع عليهم ، ومنع امراء البيت الاموي من العمل بالتجارة (١) ومن مزاحمة التجار في رزقهم ، لانه كان يتخوف من إمكانية استغلال هؤلاء الامراء لمكانتهم في الاثراء على حساب الاخرين ، وهذا ما كان يرفضه دائماً .

٤. خطط الاسواق

عاش المسلمون في عهد اكرم البشر وافضل الرسل حياة تغلب عليها البساطة والتواضع ، بعيدة عن مظاهر الترف والبذخ التي عرفت بعد هذه الحقبة ، وذلك لانشغال المسلمين بنشر الدين الجديد ومبادئه العظيمة ووضع اسس الدولة الجديدة . فمدينة الرسول الكريم (ﷺ) كانت عاصمة الدولة ، وفيها أرسيت اولى قواعدها ومؤسساتها ، وأبتدأت منها أيضاً حركة الجهاد ، فحررت الأرض العربية من السيطرتين الاستعماريتين الزائلتين الساسانية والبيزنطية ، ثم تبعتها حركة الفتوح الكبرى التي انضوت بموجبها مناطق عديدة ومختلفة الى جسم الدولة الموحدة .

والذي يعنينا بهذا الصدد ، هو الخطط المعمارية للمدينة ، عاصمة الدولة العربية الاسلامية في حُقبها الاولى . هذه الخطط اتسمت كلها بطابع البساطة واليسر

(١) ابن عبد الحكم ، ابو محمد عبد الله ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق : احمد عبيد ، ط٥ ، بيروت – ١٩٦٧ ، ص٩٠ .

[1]، ولعل اهمها المسجد النبوي الذي بناه (ﷺ) بعد هجرته المشرفة اليها من مكة . كذلك مرافقه الاخرى ومن ضمنها السوق الذي حظي باهتمامٍ ورعايةٍ ومراقبةٍ من قبل سيد البشر (ﷺ) ، إذ بدأت خططه المعمارية تتوضح تدريجياً بوجود اسواق متفرعة منه [2]، أو وجود أكثر من سوق في المدينة الواحدة [3]، ولعل اهم نقطة نشير اليها هو أن المساجد أصبحت تقام في الاسواق [4]، او قربها [5]، وهذا يؤشر ادراك ادارة الدولة العالي وبعد نظرها من هذه الناحية فالاسواق مركز الاستقطاب الحياتي الرئيس في اية مدينة ، ولكي لا ينقطع أو يتأخر اداء الفرائض الاسلامية ولا سيما الصلاة في مواعيدها ، وفي الوقت نفسه لا تتأخر الأنشطة الأقتصادية التي

تتوقف عليها حياة الناس او تضرر ، أصبحت خطط الاسواق تحدد ضمن خطط المساجد أو قربها في أية مدينة عربية اسلامية ، وبدأت بواكير هذا الأمر تتوضح منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) .

أما في عهود الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) فقد تطور الأمر أكثر . اذ دعت الحاجة الى انشاء معسكرات يقيم بها المجاهدون ، لذا مصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الامصار ، فكانت البصرة من أوائل المدن التي مصرت في الاسلام [6]، بناها القائد البطل عتبة بن غزوان [7]سنة ١٤هـ /٦٣٥م . ذلك ان زيادة

---

(١) العميد ، طاهر المظفر ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف – ١٩٦٧ ، ص١٥ .

(٢) المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، ليدن – ١٩٠٦ ، ص١١٧ .

(٣) البلاذري ، ابو العباس بن يحيى ،فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، لبنان – ١٩٨٣ ، ص٢٨٤ .

(٤) ينظر : الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩١ .

(٥) ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ، بيروت – لا . ت ، ص١٩٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩١ .

(٧) عتبة بن غزوان : يكنى ابا عبد الله ، صحابي جليل ، ولد في مكة ، قبل الهجرة سنة ٥٨١م، وهو احد السابقين الى الاسلام ، هاجر الى الحبشة ، توفي سنة ١٤هـ /٦٣٨م . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٤٩ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص٢٠١ .

عدد المجاهدين أدت الى التفكير في اقامة اماكن دائمية لهم [1]، وللضرورات العسكرية ايضاً بشكل رئيس، مصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الكوفة سنة ١٧هـ /٦٣٨م على يد الصحابي الجليل سعد بن ابي وقاص (ت٥٥هـ/ ٦٧٥م)، فقد جعلوا منها نقطة اندفاع وارتكاز واستراحة للجيوش العربية الاسلامية المجاهدة [2]، وجاء تمصير الموصل سنة ٢٠هـ /٦٤٠م ، واصبحت هي الأخرى مركزاً و قاعدة للجيوش العربية الاسلامية المظفرة [3].

ولا بد من التنويه هنا الى جانب مهم جداً في الخطط العربية الاسلامية ، إذ كانت الركائز الاساسية في بناء أية مدينة عربية إسلامية هي الابتداء بتحديد أماكن معينة يأتي في مقدمتها المسجد ودار الخلافة او الامارة ، ثم مكان الاسواق [4] ، وهذا وهذا هو محور اهتمامنا .

وكانت الأسواق في هذه الحقبة عبارة عن تجمعات بسيطة لتجار أو حرفيين، لايحددها مكان معين ولا يضمها بناء محدد ، فكانت الاسواق وعلى وفق وصف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انها ((**على سنة المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم منه الى بيته او يفرغ من بيعه**)) [5] ، كاسواق الكوفة [6] . وتقوم اما

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان، ص٣٤١ ؛ العلي ، صالح احمد ، خطط البصرة ، مجلة سومر ، مج ٨ ، ج١ ، العراق – ١٩٥٢ ، ص٧٢ ؛ العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، بيروت – ١٩٥٣ ، ص٣٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٤ ؛ الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، العراق – ١٩٨٢ ، ص٨٣ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان، ص٣٢٧ ؛ الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص٩٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٤٤ –٤٥ ؛ ابو ريده ، محمد عبد الهادي ، الثقافة الاسلامية ، جامعة الكويت – لا.ت ، ص١٤٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٤٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٦٩ .

(٦) الطبري ،تاريخ ، ج٤ ،ص٤٠؛ماسينيون ،لويس ، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة : تقي تقي محمد المصعبي ،تحقيق : كامل سليمان الجبوري،ط١،النجف – ١٩٧٩، ص٩٥.

قرب المسجد الجامع مثل اسواق البصرة [١] ، أو حول المسجد الجامع بحيث أن أبواب المسجد تقود الى السوق ، كاسواق الموصل [٢] ، واسواق الفسطاط التي يصفها المقدسي انها قد التفت حول المسجد الجامع [٣].

وبتسلم الامويين الخلافة عام ٤١هـ / ٦٦١م اتخذوا من دمشق حاضرة لهم، لتلبي دواعي الحياة الجديدة ومظاهر الترف والبذخ التي بدأت تعم مختلف نواحي المجتمع آنذاك ، ولتكون نقطة دفاع وهجوم ومركز عسكري ايضا [٤] ، ثم تابعوا سياسة التمصير ، فمصروا واسط لأسباب ادارية [٥]. والمهم في هذا الصدد ، خطط الاسواق في المدن الجديدة ، إذ تطورت عما كانت عليه في العصر الراشدي . فالولاة الامويون اتبعوا سياسة تشجيع الناس على بناء الاسواق ، للدور الفاعل الذي تلعبه في تنشيط الاقتصاد في المدينة واذكاء المال بكافة انواعه ، مما يؤدي الى غناها ويتلائم مع مظاهر الترف والبذخ التي اخذت تنتشر فيها .

فمن الولاة الذين شجعوا على اقامة الاسواق زياد بن ابيه (ت٥٣هـ/ ٦٧٢م) والي البصرة ايام الخليفة الاموي الاول معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٨٠م) إذ قام بانشاء دار الرزق وهي عبارة عن مجموعة اسواق تضمها دار واسعة تتضمن اربعة ابواب ، فاضحت هذه الدار – دار الرزق – بمثابة مخزن كبير لمختلف البضائع والطعام والمؤن [٦].

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩١ ؛ ابن الزبير ، القاضي احمد بن علي بن ابراهيم الغساني، الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله ، الكويت – ١٩٥٩ ، ص٢٠٣ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص١٩٤ ؛ ناجي ، عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، البصرة – ١٩٨٦ ، ص٣٤٩ .

(٣) احسن التقاسيم ، ص٧١ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٣١ .

(٥) ن ، م ، ص٢٨٨ ؛ الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص١١٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص٢٢٢ ؛ ناجي ، دراسات في المدن ، ص١٤١ .

وآتسمت الاسواق العربية في هذه الحقبة بصفة ميزتها عن الاسواق في الحقب السابقة ، وهي وجود اسواق فرعية تتفرع من الاسواق المركزية شكلت بدايات التخصص في الأسواق ، فمن سوق المربد مثلاً تفرعت اسواق متعددة كل منها اختصت بصنع او بيع مادة ما ، ومنها سوق الدباغين ، وسوق الابل ، وسوق الطحانين ، وسميت مجموعة هذه الاسواق بالسوق الكبير [١] ، كما وجدت مجموعة ثانية من الاسواق سميت بأسواق الكلاء ، تفرعت منها أسواق فرعية عدة، مثل سوق القصابين ، وسوق الكحالين ، وسوق الدقيق [٢] ، اما سوق باب الجامع فاشتمل على اسواق فرعيه متخصصة هي الاخرى منها سوق الطحانين وسوق السمك وسوق عثمان والسوق القديم [٣].

ووجدت الاسواق الفرعية المتخصصة في واسط ايضا في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ / ٧١٤م) والي العراق آنذاك ، إذ انزل أصحاب الطعام والبزازين ، والصيارفه ، والعطارين في الجهة اليمنى من السوق الرئيس في المدينة، وانزل البقالين ، وباعة الفواكه في الجانب الثاني للسوق [٤]. ولأجل تسهيل عمليات البيع والشراء في الاسواق ، جعل في كل سوق صيرفي [٥]لسرعة متابعة العمليات المالية المرتبطة بالانشطة الاقتصادية داخل كل سوق .

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٧ .

(٢) ن . م ، ص١١٧ .

(٣) ن . م ، ص١١٧ ؛ ناجي ، درسات في المدن ، ص١٤٢ .

(٤) ابن بحشل ، اسلم بن سهل الرزاز ، تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد ، بغداد – ١٩٦٧ ، ص٤٤.

(٥) ن . م ، ص٤٤ .

ومن السمات الاخرى التي اتسمت بها اسواق هذا العصر ، وجود اكثر من سوق في المدينة الواحدة . ففي الكوفة مثلاً اتخذ أسد بن عبد الله القسري اخو الوالي خالد القسري (ت١٢٦هـ / ٧٤٣م) سوقاً الحقها باسمه [١].

ومما تجدر الاشارة إليه أن الاسواق بصورة عامة كانت منظمة تنظيماً جيداً ، وموزعة تبعاً للحرف التي يمتهنها اهل السوق أو البضائع التي يعرضونها ، أي جعل لكل تجارة سوقاً خاصة بها على نحو ما موجود في أسواق الكوفة [٢]، واسواق واسط [٣].

ولأهمية الاسواق في هذه الحقبة عمد بعض الولاة الى بناء قصورهم وسط الاسواق ، وهذا ما فعله والي الموصل الحر بن يوسف (ت١١٣هـ / ٧٣١م) من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣م) ، إذ بنى قصره المعروف بالدار المنقوشة وسط الاسواق [٤].

ومثلما تطورت خطط البناء المعمارية عموماً في العصر الاموي عما كانت عليه في العصر الراشدي ، تغيرت وتطورت مواد البناء ايضا عبر هذه المدة ، تبعاً للتغير الحاصل في طبيعة المجتمع العربي الاسلامي الناجم عن توسع الدولة جراء حركة الجهاد وانضواء شعوب مختلفة متعددة المواريث الحضارية الى جسم الدولة الموحد والتلاقح الحضاري الذي حدث آنذاك الذي أدى الى مظاهر حياتية اكثر دعة ورفاهية عما كانت عليه سابقاً . ففي العصر الراشدي ، كان القصب مادة البناء الاساسية لتوافره ، لذا اعتمد عليه في بناء الاسواق ومنها مثلاً اسواق البصرة [٥]. ثم

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٤ ؛ ناجي ، دراسات في المدن ، ص١٧٠ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٧٦؛ ناجي ، درسات في المدن ، ص٧٦ .

(٣) ابن بحشل ، تاريخ ، ص٤٤ .

(٤) الازدي ، ابو زكريا يزيد بن محمد ، تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبه ، القاهرة – ١٩٦٧ ، ص٢٤ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٤٢ ؛ ناجي ، دراسات في المدن ، ص١٣٥ .

مالبثت ان تغيرت مواد البناء من القصب الى اللبن والطين ، وذلك لعدم فاعليته ومقاومته وسرعة احتراقه ولكون البناء باللبن والطين أكثر ثباتاً كما حدث في اسواق الكوفة [١] التي ظلت بالبواري [٢] .

اما في العصر الاموي ، فمن الطبيعي أن تستخدم مواد جديدة في البناء تساير طبيعة التطور الحاصل في المجتمع انذاك فاصبح الآجر والجص والحصى المواد الاساسية في البناء ، فبها بنيت اسواق البصرة [٣]، كما سقفت أسواق أخرى بسقوف من الآجر والجص مثل اسواق الكوفة [٤] ، وكانت بعض الاسواق مسقوفه بالخشب ((**سكانها في ظلال وارفه ، فكل سوق فيها تقيد الابصار حسناً وتستوقف المستوفز تعجباً**)) [٥] ،كأسواق حلب [٦].

٥. القيساريات[٧]

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٤٤ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٤٣ ؛ ناجي ، دراسات في المدن ، ص١٣٦ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٤ .

(٥) ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد ، رحلة ابن جبير ، بيروت – ١٩٦٤ ، ص٢٢٧ .

(٦) ن . م ، ص٢٢٧ .

(٧) قيسارية او قيصرية : نسبة الى قيصر وهو اسم ملك الروم ، اطلقت على عدة مدن قديمة تكريماً لبعض قياصرة الروم .الجواليقي ، ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد ، المعرب من كلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، طهران –١٩٦٦ ، ص٢٧١ ؛ الاعلمي ، الشيخ محمد الحسيني ، دائرة المعارف المساة بمقتبس الاثر ومجدد ما دثر ، ط١ ، بيروت – ١٩٩٧ ، ج٢٤ ، ص١٣٣؛ غربال ، محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، بيروت –١٩٦٥ ، مج ١، ص ١٤١٢.

شهدت المدن العربية الاسلامية نوعاً من الاسواق تعرف بالقيساريات [1]. فبسبب توسع الحركة التجارية ونشاطها في مختلف مدن الدولة العربية الاسلامية ، باتت الاسواق غير قادرة على استيعاب ذلك الاتساع والنمو في النشاط التجاري، وادرك الأمير عبد العزيز بن مروان (ت٨٥هـ / ٧٠٤م) والي مصر من قبل اخيه الخليفة عبد الملك ، فبادر الى بناء القيساريات في الفسطاط ، ومنها قيسارية العسل ، وقيسارية الحبال ، وقيسارية الكباش ، وقيسارية سماها بآسمه لبيع القماش الفسطاطي ، وفيما بعد بنى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك قيسارية حملت اسمه وخصصت لبيع القماش أيضا [2].

وكانت القيساريات تبنى الى جوار المسجد الجامع حتى أن الاسواق الفرعية لهذه القيساريات اتصلت بأبواب المسجد ، كما في قيسارية حلب التي كانت تضم عشرين دكاناً للتجار المتخصصين ببيع الاقمشة [3].

وامتازت القيساريات بانها كبيرة وواسعة ولها أبواب حديدية متعددة تقفل ليلاً خوفاً على البضائع الثمينة الموجودة فيها ، وكان بناؤها يتألف من طابق او طابقين ، يؤجر الأراضي كحوانيت للتجار ، والعلوي يؤجر كسكن للنزلاء كما في قيساريات الموصل [4] .وكانت اراضي القيساريات مبلطة ، وحوانيتها مضاءه ليلاً ونهاراً ، وامام كل حانوت مصطبة لجلوس التاجر ، فالقيساريات اذن اسواق مستقلة متخصصة غير

---

(١) وهي محل عام يباع فيه ، يكون وسطه غالباً بركة للماء ودكاكين او حجر للتجار كالاسواق يضمها سور واحد ، والجمع : قياسر ، وقياسير ، وقيساريات ، الصابيء ، ابو الحسين هلال ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق : ميخائيل عواد ، بغداد – ١٩٦٤ ، ص٣٦ ، هامش (٢) .

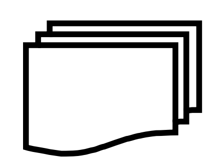
(٢) ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد ايدمر ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ج٤ ، مصر – ١٣٠٩ هـ، ص٣٧-٤٠ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٨٤ .

(٤) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢١٠ .

مرتبطة بما يجاورها من تجارات ، حوانيتها غير مكشوفة ولا مرتبطة ببقية الاسواق بسبب طريقة بنائها [١].

(١) الصابيء ، رسوم دار الخلافة، ص٣٦ ، هامش (٢) ؛ الزركاني ، خليل حسن ، من التراث المعماري في المدينة العربية الاسلامية ، بغداد – ٢٠٠٠ ، ص٩٤ .



٦. اثر الاسواق في الحياة العامة حتى القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي

تركت الاسواق أثراً متعدد الجوانب في حياة الناس ، ومجتمع الدولة العربية الاسلامية ، هذا الاثر كان متنوعاً وآزدادت أهميته بالتطور الكبير سلبيا كان أم إيجابياً ، الذي عاشته الدولة في مختلف عصورها ، فمن الناحية الدينية ، لعبت الأسوق دوراً مؤثراً في هذا المجال ، فمنذ البداية ، أصبحت احدى مراكز الدعوة للاسلام والتعريف به . وكان الرسول (ﷺ) يقصد الأسواق ، يعرف حاضريها بالاسلام ويدعوهم للايمان بالله ويتصدق على المسلمين الموجودين بالسوق ايضا [١]، وفعل العديد من الصحابة الشيء نفسه ، فضلاً عن قراءتهم القرآن فيه [٢]،إذ عرف عن العديد منهم انهم كانوا من اهل السوق [٣]، فاخذوا على عاتقهم مهمة وعظ أهل السوق وتذكيرهم بالخالق ودعوتهم لقراءة القرآن الكريم ، وحثهم على أداء الصلاة [٤].

وبالاضافة الى جهادهم ، عمل العيد من الصحابة في الاسواق فجمعوا بين عملهم الحياتي ومهمتهم التطوعيه البالغة الأهمية التي اخذوها على عاتقهم وهي الدعوة الى الاسلام ، وهؤلاء الصحابة (رضوان الله عنهم) كُثر ، لعل من أبرزهم الصحابي الجليل حاطب بن ابي بلتعة [٥] الذي شهد الوقائع مع الرسول(ﷺ) جميعها وكانت له تجارة واسعة ، ومن الصحابة الذين عملوا بالتجارة واسهموا بعملية جمع

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفا ، ص٧٤٨ ؛ علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٣٨٢ .
(٢) المالكي ، ابو بكر عبد الله ، رياض النفوس ، ج١ ، القاهرة –١٩٥١ ، ص١٥٦ .
(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ، بلا ، ج١، ص١١٦.
(٤) ابن الحاج ، المدخل ، ج١ ، ص٨٧ ؛ الغزالي ، ابو حامد بن محمد ، احياء علوم الدين ، ج١ ، مصر – ١٩٣٣ ، ص٢٦٦ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية، ج٢ ، ص٣٣٥ ؛ الكلندهلوي، محمد يوسف ، حياة الصحابة ، ج٣ ، القاهرة – ١٩٦٩ ، ص١٢١ .
(٥) حاطب بن ابي بلتعه اللخمي : صحابي ، ولد سنة ٣٥ق.م/٥٨٦م ، بعثه الرسول (ﷺ) بكتابه الى المقوقس صاحب الاسكندرية ، كان احد فرسان وشعراء قريش ومن اشهر رماتها ، توفي سنة ٣٠هـ / ٦٥٠م في المدينة . الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ومحمد العرقسوسي ، ج٢ ، بيروت – ١٤١٣ ، ص٤٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص١٥٩ .

القرآن الكريم الصحابي الجليل ابو الدرداء (﵁)[١]. والصحابي عبد الرحمن بن عوف[٢] إذ كان كثير المال واسع التجارة ، وهو احد الثمانية السابقين الى الاسلام [٣]وكان صهر الرسول (ﷺ) القاسم بن الربيع [٤]ممن عملوا بالتجارة ايضا .

وفي العصر الاموي ، برز العديد من التابعين ممن عملوا في السوق ، واستثمروا مهنهم هذه للتوعيه بالاسلام ، ولاسيما بعد توسع الدولة العربية الاسلامية من جراء حركة الجهاد ، وانضواء العديد من سكان المناطق المفتوحة للاسلام ، وضرورة معرفتهم بشرائعه واحكامه ، لعل ابرزهم شيخ الاسلام سعيد بن المسيب[٥]

---

(١) ابو الدرداء : عويمر بن مالك بن قيس بن اميه الانصاري الخزرجي ، صحابي ، من الحكماء الفرسان القضاة ، كان تاجراً في المدينة قبل البعثه ، ثم انقطع للعبادة ، اشتهر بالشجاعة ، والنسك ، ولاه معاوية قضاء دمشق بامر عمر بن الخطاب ، وهو احد الذين جمعوا القرآن ، توفي بالشام سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م ؛ الذهبي،تذكرة الحفاظ ،ج١،بيروت – ١٩٥٦ ، ص٢٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٩٨ .

(٢) عبد الرحمن بن عوف : الزهري القرشي ، صحابي ، كان من الاجواد الشجعان العقلاء ، اسمه في الجاهلية عبد الكعيه او عبد عمرو وسماه الرسول (ﷺ) عبد الرحمن ، ولد عام ٤٤ق .هـ/٥٨٠م أي بعد عام الفيل بعشر سنين ، تصدق يوماً بقافلة تحمل طعاماً ، زوجته ابنه ملك دومة الجندل وهي تماضر ، توفي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م ؛ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ، القاهرة – ١٩٧٦ ، ص٣١١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص٣٢١ .

(٣) النووي ، ابو زكريا محي الدين ، تهذيب الاسماء واللغات ،ج١ ،مصر – د.ت ، ص٣٠٠.

(٤) القاسم بن الربيع : بن عبد العزى ، ابو العاص ، صحابي ، من اصهار النبي (ﷺ) فهو زوج زينب كبرى بنات النبي (ﷺ) توفي سنة ١٢هـ / ٦٣٤م . ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج٥ ، ص٤٠٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص١٧٦ .

(٥) سعيد بن المسيب القرشي: احد الفقهاء السبعة بالمدينة ،عمل بائعاً للزيت ،كان من المحدثين والثقات ،توفي سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م ؛ابن خلكان ،وفيات الاعيان،ج٢ ، ص١١٧.

الذي يعد من المحدثين المشهورين ، وفي ذات الوقت هو أحد أهل السوق إذ كان بائعاً للزيت [1] ، وعد عمله امتداداً لمهمته التطوعيه التي سبقه اليها الصحابة الاجلاء في عصر الرسالة والعصر الراشدي . ومن التابعين الذين عملوا في السوق العلامه الجليل محمد بن سيرين [2] الذي امتهن البزازه [3] ، وكان يمر في السوق فيكبر ويسبح ويذكر الله عز وجل ، فهو امام عصره في علوم الدين ومن اشراف الكتاب [4] . ومن رواة الحديث مالك بن دينار [5] الذي كان يعتاش من كتابة المصاحف بالاجرة [6].

ومن الطريف الاشارة هنا الى ان القس والرهبان ساروا على النهج نفسه الذي طبقه الصحابة والتابعين (رضوان الله عنهم) في التوعيه بالدين ، إذ اتخذوا من الاسواق اماكن للوعظ والارشاد ، وكانوا يذكرون أهل مللهم بالآخرة ويوم الحساب وغيرها من أمور دينهم ، إلا أنهم ومنذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عاهدوه على ان لا يظهروا كتبهم وصلبانهم في أسواق المسلمين [7] وفي هذا الامر ما يحقق مصلحة الامة والدين .

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص٥٤ .

(٢) محمد بن سيرين البصري : الفقيه المعروف ، كان ابوه مولى لأنس بن مالك (رضي الله عنه) ، امه صفيه مولاة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، توفي سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤، ص١٨١ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٤٢ .

(٤) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج٣ ، ص٢٤١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٢٧٤ ؛ بامطرف ، محمد عبد القادر ، الجامع ، ج٣ ، بيروت – ١٩٨١ ، ص٣٤٤ .

(٥) مالك بن دينار البصري :كان عالماً زاهداً شديد الورع ، توفي سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص٢٨٧ .

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٧٠ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٢٦٠ .

(٧) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٢٥٩ ؛ امين ، احمد ، فجر الاسلام ، القاهرة – ١٩٨٧، ص٢٧ .

كانت للاسواق تأثيرات أدبيه لاتقل أهمية عن أثرها الديني ، فضلاً عن اثرها الاقتصادي .فالاسواق كانت دائماً مكاناً مفضلاً لتجمع الشعراء والخطباء والادباء والحكماء وغيرهم [١]. وكانت العرب تحضر هذه الاسواق للتفاخر وذكر مناقب الاباء والاجداد او لدفع الديات [٢] او لفداء الاسرى [٣]. واحتلت مكة الزعامة الادبية والاخلاقية للعرب في هذه الاسواق ، فقد أضحت لها المكانة الساميه بين قبائل العرب ، فاذا تفاخر الشعراء وتناظر الرؤساء استثنوا قريشاً [٤].

ومن أهم تلك الاسواق ، سوق عكاظ الذي كان مقصداً للكثير من العرب [٥]، للاستماع الى كل جديد من الادب الراقي ، ولاسيما أحدث القصائد الشعرية التي كان ينشدها الشعراء [٦].

لذا تمتع هؤلاء بأهمية لاتقل عن اهمية التجار لما كان لشعرهم من تاثير كبير في الحياة العامة في المجتمع آنذاك [٧]، لانه كان جامعاً شاملاً لمظاهر حياتهم المختلفة ، فضلاً عن تضمنه للحكمة والعلم [٨]. ويعد النابغة الذبياني [٩]من أهم

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٣٩ .
(٢) القزويني ، زكريا بن محمد ، اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت – ١٩٦٠ ، ص٨٥ ؛ علي محمد كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، ج١ ، القاهرة – ١٩٣٤ ، ص١١٥ .
(٣) التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج١ ، ص٨٥ ؛ القلقشندي ، ابو العباس احمد ، صبح الاعشى في صناعة الانشأ ، ج١ ، القاهرة – ١٩٦٣ ، ص٤١٠ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٧٠ ؛ شلبي ، ابو زيد ، خالد بن الوليد ، ط١ ، مصر – ١٩٣٣ ، ص١٦ .
(٥)الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١ ، ص٥٦
(٦) العباسي ، عبد الرحيم بن احمد ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج١ ، بيروت – ١٩٤٧ ، ص٢٠٤ .
(٧)علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٣٨١ .
(٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٢ .
(٩) النابغة الذبياني : زياد بن معاوية ، شاعر جاهلي من الطبقة الاولى من اهل الحجاز ، توفي سنة ١٨ق.هـ / ٦٠٤م . الجمحي ، ابو عبد الله بن سلام ، طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين – لا . ت ، ص٢٥ .

شعراء هذا السوق اذ كانت تضرب له قبة من جلد أحمر يرتادها الشعراء يعرضون عليه شعرهم ، فيبدأ بتذوقها ، بما يمتلكه من فطرة لغوية وادبية ، مكنته من القدرة على النظر منها واصدار حكمه النقدي عليها (١) . كذلك امرؤ القيس (٢)، وزهير بن ابي سلمى (٣).

اما ابرز الشعراء الذين ادركوا الاسلام وكان لهم الاثر نفسه في الاسواق ، النابغة الجعدي (٤) ، وكعب بن زهير بن ابي سلمى (٥) ، وغيرهم (٦).

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٨ ، بيروت – لا.ت ، ص١٨٩ ؛ العباسي ، معاهد التنصيص ، ج١ ، ص١٩١ .

(٢) امرؤ القيس : بن حجر الكندي ، شاعر موهوب ، من اصحاب المعلقات ، وامرؤ القيس لقب لقب غلب عليه ومعناه رجل الشدة ، ت٥٦٥م . الجمحي ، طبقات الشعراء ، ص٢٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٢ ؛ شيخو ، لويس ، شعراء النصرانية قبل الاسلام ، بيروت – ١٩٦٧ ، ص٦ .

(٣) زهير بن ابي سلمه : من اشعر الشعراء منذ ما قبل الاسلام ، اسلم ومدح الرسول (ﷺ) ، كان من عائلة كلها شعراء ، سكن في ديار نجد ، توفي سنة ١٣ق.هـ / ٦٠٩م . الجمحي، طبقات الشعراء ، ص٢٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٢ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣، ص٥٢ .

(٤) النابغة الجعدي : قيس بن عبد الله ، شاعر ادرك الاسلام ، يكنى ابا ليلى ، كان في نفس سن سن النابغة الذبياني ، سيره معاوية بن ابي سفيان الى اصبهان ، وتوفي بها عام ٥٠هـ / ٦٧٠م . اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج٦ ، ص٣٩١ .

(٥) كعب بن زهير بن ابي سلمى : شاعر ادرك الاسلام ، ابوه زهير بن ابي سلمى من الشعراء المعروفين قبل الاسلام ، وكعب من اهل نجد ، توفي سنة (٢٦هـ / ٦٤٥م) ؛ اليعقوبي ، تاريخ، ج١ ، ص٢٦٨ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٢٢٦ .

(٦) وللمزيد من التفاصيل حول الشعراء الذين ادركوا الاسلام ، ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ج١، ص٢٦٨ .

ومن الاسواق الاخرى التي لعبت الدور نفسه ، سوق المربد [1]، وكان مجمعاً لفحول الشعراء والادباء ومنبراً لقصائدهم ومناظراتهم الشعرية والادبية ، لذا حرصت القبائل على ارسال وفودها لحضوره [2]. وتميز بخاصية معينة ميزته عن بقية الاسواق **((وهو انه ارفد اللغة بمادة كثيرة عليها أَسس النحاة قواعدهم واصلحوها وذلك بما كانوا يقصدون له فصيحاء الاعراب يسألونهم فيما فيه يختلفون ويأخذون عنهم مستفيدين ومتعلمين))** [3].

اما في العصر الاموي ، فقد احتفظت الاسواق بالدور نفسه الذي تميزت به في العصور السابقة ، إذ بقيت ملتقى المسلمين وغيرهم للتعارف وتبادل الحديث، كذلك لانشاد الشعر [4] ، وعقد حلقات المناظرة والمفاخرة واقامة جلسات العلم والادب ، ولعل اشهرها حلقة الفرزدق [5] التي كانت تعقد في السوق ، وحلقة الشاعر المعروف ذو الرمة [6] ، الذي كان يتجمع حوله الكثيرون لسماعه [7] .

---

(١) المربد : من اشهر محال البصرة ، كان قديماً سوق ، ثم اصبح محلة عظيمة ، به كتانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٥ ، ص٩٨ .

(٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٨ ، ص٢٧ .

(٣) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٤٢١ .

(٤) النويري ،شهاب الدين احمد ،نهاية الارب في فنون الادب، ج٢،القاهرة – لا.ت، ص١٦١.

(٥) الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة من تميم ، لقب بالفرزدق لغلاظة وجهه وجهومته ، ولد في البصرة ، ونشأ في باديتها ، نظم الشعر وهو صغيراً ، ابوه من اجود العرب المشهورين ، امه ليلى بنت حابس اخت الصحابي الاقرع بن حابس ، توفي عن عمر ناهز المئة سنة (١١٤هـ / ٧٣٢م) . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٥٩٠ ؛ البستاني، ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، ط١٠،بيروت – ١٩٦٨ ، ص٣٣٧ .

(٦) ذو الرمة : ابو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود ، احد فحولة الشعراء ، انشد الشعر في سوق المربد ،توفي سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤، ص١٢ .

(٧) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٨ ، ص٢٧ .

كان لهذين العاملان ، التجارة والاسواق، أهمية كبيرة جداً في حياة قريش ولا سيما منذ ما قبل الاسلام ، إذ مكنتها من فرض هيمنتها التجارية على شمال شبه الجزيرة العربية ، وبالتالي ساعد هذا على توحيد اللهجات العربية التي دعمت فيما بعد بظهور الاسلام ونزول القرآن الكريم بها [١]، وقيل ان قريش سميت كذلك نسبة الى التقرش أي التجارة والكسب [٢].

وافادت التجارة العرب في جانب آخر وهو تقوية علاقتهم مع الدول المجاورة كالدولتين الرومانية والفارسية إذ استطاعوا عبر علاقاتهم التجارية المتينة هذه ، ان يؤثروا حضارياً في الآخرين ويتأثروا في الجيد الذي أخذوه منهم ، ولاسيما بعد تعلمهم اللغات الاجنبية التي حتمتها عليهم ضرورات العمل التجاري[٣].

ولم يقتصر السوق على وجود الشعراء فيه ، بل من ناحية أخرى وجد فيه المغنين الذين كانوا أصلاً من أهل السوق كالتجار مثلاً . إذ كان ابو جعفر سائب[٤] مغنياً وفي الوقت نفسه تاجراً يبيع الطعام في سوق المدينة [٥].

---

(١) بيضون ، ابراهيم وسهيل زكار ، تاريخ العرب السياسي ، ط١ ، دار الفكر – ١٩٧٤ ، ص٢٩ .

(٢) ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، ج١ ، مصر – لا.ت ، ص٩٦ ؛ العيني ، بدر الدين ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، القاهرة – ١٩٦٧، ص١٢٦ .

(٣) امين ، فجر الاسلام ، ص١٥ .

(٤) ابو جعفر ، سائب : خاثر بن يسار ، مولى لبني ليث ، اصله من فيء كسرى اشتراه عبد الله بن جعفر فاعتقه ، اول من عمل العود بالمدينة وغنى به ، كان تاجراً موسراً ، سمعه معاوية فغناه مراراً ، كان مقتله بالمدينة يوم الحرة سنة (٦٣هـ /٦٨٢م) . النويري ، نهاية الارب ، ج٤ ، ص٢٤٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص٦٨ .

(٥) النويري ، نهاية الارب ، ج٤ ، ص٢٤٤ .

امامعبد [١] الذي يعد من اشهر المغنين في العصر الاموي ، امتهن حرفة التجارة أيضا [٢]، وأخذ يونس بن سليمان[٣] الغناء عنه وهو أول من دون الغناء وله كتاب في الاغاني وعمل بالتجارة ايضا [٤].

اما عن الدور السياسي للسوق واثره في الحياة العامة انذاك ، فقد برز بشكل واضح بعد ظهور الاسلام ، وقيام الدولة العربية الاسلامية على يد أفضل الرسل في مجتمع المدينة ، فمن المهم الاشارة الى أن بعض الاحداث السياسية والعسكرية المهمة حدثت في السوق ، كمعركة الخندق التي حدثت سنة ٦هـ / ٦٢٧م [٥]حين تخندق المسلمون في سوق المدينة [٦].

ومن سوق الاحواز ، قاتل لاحقاً المغيره بن شعبة [٧]الفرس وذلك عندما ولّاه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) البصرة [٨]سنة ١٥هـ / ٦٣٦م [١].

---

(١) معبد بن وهب : نابغة الغناء في العصر الاموي ، نشأ في المدينة يرعى الغنم ، اشتغل في التجارة، رحل الى الشام واتصل بامرائها ، كان اديباً ، توفي في عسكر الوليد ين يزيد سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) .ابن حجر العسقلاني، الاصابة ، ج٢ ، ص١٧؛سلوم ، داود ونوري حمودي القيسي ، شخصيات كتاب الاغاني ،بغداد – ١٩٨٢ ،ص٣٢٥ ؛ الزركلي ، الاعلام، ج٧ ، ص٢٦٤ .

(٢) الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ،تحقيق : محمد مرسي الخولي ،بيروت – ١٩٧٢ ، ص٢٨٦ ، هامش رقم (١) ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٢٦٤ .

(٣) يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار ، كان ابوه فقيهاً ، اخذ الغناء عن معبد ، له شعر جيد، كاتب نشأ بالمدينة ، غنى للوليد بن يزيد وكان حينها ولي للعهد، توفي سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م .النويري ، نهاية الارب ، ج٤ ، ص٢٩٢ ؛ الزركلي ،الاعلام ،ج٨ ، ص٢٦١.

(٤) النويري ، نهاية الارب ، ج٤ ، ص٢٩٣ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص٣٢ .

(٧) المغيره بن شعبة : بن ابي عامر بن مسعود الثقفي ، احد قادرة العرب اسلم سنة (٥٠هـ / ٦٢٦م) ، شهد الحديبية واليمامه وشارك في الجهاد ، ولي البصرة عن الخليفة عمر (رضي الله عنه) ثم الكوفة ، توفي سنة ٥٠ه / ٦٧٠م. ابن حجرالعسقلاني ، الاصابة ، ج٣ ، ص٤٢٥ .

(٨) لاصفهاني ، الاغاني ، ج١٦ ، ص٨٧ .

ومن ناحية أخرى أضحت الاسواق مسرحاً للكثير من الاحداث السياسية من قبل بعض الفرق التي بدأت تظهر كالخوارج ، الذين كانوا يستخدمون الاسواق لتأليب الناس ضد السلطة ولاسيما الازارقة (٢) الذين حاربهم القائد معمر التميمي(٣) في سوق الاحواز (٤).

ومن الامور المهمة التي تذكر في هذا الصدد أثر أهل السوق والتجار منهم خاصة في مساندة جيش الدولة ضد بعض المتمردين ، إذ استعان بهم المهلب بن ابي صفرة (٥) في حربه ضد الخوارج ، حينما اقنع التجار ان مساندتهم له ستؤدي الى

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٧٠ .

(٢) الازارقة : وينسبون الى نافع بن الازرق احد الخوارج ، الذين خرجوا من البصرة الى الاحواز فسيطروا عليها وعلى من حولها من كور في ايام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله في هذه النواحي ، مات نافع عام ٦٥ هـ/٦٨٥م ، فبايعوا بعده قطري بن الفجاة وسموه أمير المؤمنين . ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ،تحقيق :عبد الرحمن خليفة ، ج٣ ، ط١ ، مصر – ١٣٤٧هـ ، ص١٤٤ ؛ الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن احمد ، الملل والنحل ، ج١ ، مصر – ١٣٤٧هـ ، ص١٢٧.

(٣) معمر التيمي : عثمان بن عبد الله القرشي ، قائد من اهل الحجاز ، حارب الخوارج ، توفي سنة ٦٢هـ /٦٨١م . المرصفي ، سيد بن علي ، رغبة الامل من كتاب الكامل ، ج٨ ، ط١ ، مصر – ١٩٢٩ ، ص٦ ، ٧ ، ١٥.

(٤) المرصفي ، رغبة الامل ، ج٨ ، ص٦ ، ٧ ، ١٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص٢٠٩ .

(٥) المهلب بن ابي صفرة : الازدي العتكي ، امير جواد ، ولد سنة ٧هـ /٦٢٨م ، نشأ بالبصرة ، قدم المدينة مع ابيه في عهد الخليفة عمر (ﷺ) ولي البصرة لمصعب بن الزبير، فقئت عينه بسمرقند ، ولي خراسان في عهد عبد الملك بن مروان ، توفي في خراسان سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م . ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ، ص١٨٣؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٣١٥ .

انتعاش عملهم التجاري بعد الكساد الذي حدث جراء تمردهم ففعلوا وقدموا له المعونة المطلوبة(١).

وكانت الاسواق تغلق عند حصول تنازع بين أهل المدينة وطرف آخر ، وكان افتتاحها يمثل بادرة خير وصلح ، تدل على نهاية الصراع والنزاع بين الاطراف المتخاصمة ، ففي معركة بصرى بقيادة خالد بن الوليد ، وهي اول مدينة حررها العرب في بلاد الشام ١٣هـ /٦٣٤م (٢)، افتتح اهلها الاسواق ورضوا ان يدفعوا الجزية مقابل تأمين دمائهم واموالهم واولادهم (٣).

وبما ان السوق يشكل تجمعاً لعدد كبير من الناس ، استخدم للاعلان عند انزال عقوبة ما ببعض المتمردين ، كالذي حصل في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حينما رفض البعض بيعة ولديه فأمر بمعاقبتهم بالتشهير بهم عبر الطواف بهم في الاسواق (٤) وفي عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك شُهرَّ باحد المتمردين في سوق مكة لتمرده على الوالي الذي كان خال الخليفة (٥).

ونستنتج من بعض الروايات ان الاسواق في العصر الاموي شكلت انسب مكان لأعلان التمرد والخروج على سلطة الدولة ، لذا كانت دائماً هي المتضرر الاول فعندما خرج الزنوج في البصرة على الحجاج في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ،

---

(١) المبرد ، ابو العباس محمد ، الكامل في اللغة والادب ، ج٣ ، دار الفكر – لا . ت ، ص١٧٣ ؛ العلي ، التنظيمات ، ص١٢٦ .

(٢) الازدي ، محمد بن عبد الله ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق : عبد المنعم عبد الله عامر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص٨٣ ؛ خورشيد ، ابراهيم زكي وآخرون ،دائرة المعارف الاسلامية، مج٧ ، القاهرة – لا . ت ، ص٣٠٧ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٢٠ .

(٤) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج٢ ، ص١٧١ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٤٠١ .

كان اول ما قاموا به احراق الاسواق ونهب الأموال والسلاح [١]، كما اضحى سوق الكوفة مركزاً للقتال بين الجيش الاموي وبعض الخوارج عام ٧٦هـ/٦٩٥م [٢].

وحتى طلب الثأر كان يتم في الاسواق أيضا بعَّدها من أكثر المراكز التي يتجمع فيها الناس [٣].

وبما ان الاسواق كانت كثيراً ما تشكل بؤرة نزاع واقتتال ، لذا كانت مثل هذه الحالات تخلف قتلى ودمار وتخريب ، ففي العام ٩٦هـ /٧١٤م حدث نزاع بين أهل السوق ووالي خراسان انذاك المعروف قتيبة بن مسلم الباهلي حول مسألة خلع شقيق الخليفة الوليد بن عبد الملك وهو سليمان واحلال ابنه محله ، وأدى هذا الى قتل أهل السوق شقيق الوالي وهو عبد الرحمن بن مسلم الباهلي نتيجة موقف هؤلاء المضاد لولاية العهد المقترحة [٤].

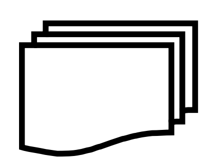
---

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص٣٦ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، مج٢ ، ص٢٧٥ .

(٣) ينظر : الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٤١٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٥٠٦ – ٥١٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ، ص١٤١.



٧. اثر بناء مدينة بغداد في تطور الاسواق

بعد سقوط الخلافة الاموية عام ١٣٢هـ/٧٤٩م وقيام البيت العباسي ، اهتم الخلفاء العباسيون باختيار عاصمة جديدة تكون مستقراً لهم ، فارادوا من المكان الجديد ان يتصف بصفات تؤهله لان يكون قاعدة للدولة الجديدة . ومنذ البداية ، توجهت انظارهم نحو العراق ، لموقعه الستراتيجي المهم الذي يربط مناطق المشرق بالمغرب [(١)]، بالاضافة الى كونه يتمتع ببعد حضاري يمتد لآلاف من السنين قبل الميلاد ، فهو مهد الحضارة الانسانية ، وملتقى للعديد من تياراتها ، وشهد على مر العصور اختلاط العديد من الاجناس ، فاختلطت في بودقته الاجناس والمؤاثرت الحضارية المختلفة.

وبعد اختبارات عدة لأكثر من موضع في العراق ، استقر رأي ثاني وأقوى خليفة عباسي ، ابو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٣ – ٧٧٤م) على موضع بغداد العريق لاتخاذه عاصمة للعباسيين .فموقعها الجغرافي جعلها مركزاً نموذجياً للتجارة العالمية البرية والبحرية على حد سواء ، لوقوعها بين ((**دجلة والفرات وشريعة البصرة والأُبلة وفارس وما والاها والموصل والجزيرة والشام ومصر والمغرب ومدرجة الجبل وخراسان**)) [(٢)]. بالاضافة الى الأهمية الاستراتيجية القوية التي تتميز بها وتحصنها بالانهار مما يزيد من قدراتها في حالتي الدفاع والهجوم .

وكانت بغداد قبل بنائها عام ١٤٥هـ/٧٦٢م ، قرية قديمة [(٣)]يعقد بها سوق

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣ ؛ الصالح ، صبحي ، النظم الاسلامية نشاتها وتطورها ، بيروت– ١٩٦٨ ، ص٣٩٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، مج ٢ ، ص٣٧٣ .

(٣) خليفة بن خياط ،ابو عمر بن شباب العصفري، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، ط١ ، ج١ ، النجف – ١٩٦٧ ، ص٨٦ ؛ ابن قتيبة، الاخبار الطوال ، مصر – لا . ت ،ص٣١١ ، ٣١٢ ؛قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ،بغداد – ١٩٨١ ، ص٣٥٦ ؛لسترانج ،غي ، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة : بسشير يوسف فرنسيس، ط١ ، بغداد – ١٩٣٦ ، ص٩؛ البطاينة ،محمد ضيف الله ، بحوث في التاريخ الاسلامي ، عمان – ١٩٨٣،ص٢٦ ؛ الهيتي ، صبري فارس ، تخطيط مدينة بغداد ، مجلة المورد ، ع٤ ، م٨ ، بغداد – ١٩٧٩ ، ص٩ .

عظيمة يقصدها التجار من سائر الانحاء [١]. لذا لم يكن اختيار الخليفة لها عشوائياً، بل كان اختيار دقيق مبني على اسس وعوامل محسوبة ، فقد اختبر الخليفة بنفسه مواضع عدة ، قبل ان يستقر رأيه عليها ، ساعده في حسم هذا الاختيار ، موقعها ، فهي تقع في وسط العراق [٢].عليه يمكن ان نعد هذا السبب عنصراً مهماً يؤخذ بنظر الاعتبار عند انشاء المدن لان وقوع العاصمة في أطراف الاقاليم كان يربك الدولة وتنظيماتها الادارية ويشجع التمرد على السلطة ويعرقل ويؤخر دخول الجيوش عند حدوث اية معركة [٣]، فضلاً عن ذلك فإن موقعها هذا جعلها محصنة بنهري دجلة والفرات مما يحقق سهولة الدفاع عنها ، فوجود الانهار باتت بمثابة خنادق دفاعية لها [٤]. وكان لقيام ثورة الراوندية [٥]من العوامل المهمة التي جعلته بعيد النظر في سلامة الدولة وامنها والبحث عن منطقة حصينة يقيم بها وتكون معسكراً لجنده [٦]، فكانت بغداد خير نموذج لمطلبه .

من هنا كان بناء بغداد نقلة حضارية راقية جداً ، واصبحت من مفاخر العرب والمسلمين في مجال التخطيط الحضري ، فيصفها احد المؤرخين قائلاً : ((**لم أَر قط**

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ، ص٤٧٣ ؛ الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، بيروت – لا . ت ، ص٢٥ ، ٢٧ ؛ ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، تحقيق : محمد بهجة الاثري ، بغداد – ١٣٤٢هـ ، ص٦ ؛ قزويني ، حمد الله بن ابو بكر ، تاريخ كزيده ، تحقيق: عبد الحسين نوائي ، ايران – ١٣٣٩هـ ، ص١٧٦ ؛ الاعظمي ، علي ظريف ، مختصر تاريخ بغداد ، بغداد – لا . ت ، ص٥٠ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٧٣ .

(٣) العميد ، بغداد ، ص٩٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٧، ص٦١٧ .

(٥) الراوندية : اصلهم من خراسان ، وهم من جماعة ابي مسلم الخراساني ، يقولون بالتناسخ وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو ابو جعفر المنصور ، خرجوا على المنصور لانه حاسب رؤسائهم ، فقضى عليهم سنة ١٤١هـ /٧٥٨م . الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٥٠٥.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦١٤ .

ارفع سمكاً ولا اجود استدارة ولا انبل نبلاً ولا اوسع أبواباً ولا اجود فصيلاً من الزوراء وهي مدينة ابي جعفر المنصور)) [١] . وما ان اطمأن المنصور لموضعه الجديد حتى جند الخبرات من الانحاء كلها لأنجاز المشروع ، فاجتمع الكثير من حذاق ارباب المهن والصنائع [٢]، وابتدأ العمل بها سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م [٣]، واسند مهمة الاشراف على البناء الى اشخاص عرفوا بالثقة ومن ذوي الاختصاص كالحجاج بن أرطأة [٤] وابي حنيفة النعمان بن ثابت[٥]. وأمر أن تخط بالرماد وبوضع حبوب القطن على التخطيط ثم أمر باشعالها ليراها مجسمة عن بعد ، بعدها امر بالحفر [٦]، ووضع اللبنة اللبنة الاولى بيده [٧]، وجعلها مدورة ، في

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٧ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٥٨ .

(٣) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ص٨٧ ؛ الريس ، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، القاهرة – ١٩٦٩ ، ص٤١٧ ؛

Hourani , A .H and S. M. steren , The Islamic city , University of pennsylvania 1967, P .103.

(٤) الحجاج بن أرطأة : بن ثور النخعي ، قاضي من اهل الكوفة ، من رواة الحديث ، وولي قضاء البصرة ، توفي بخراسان او بالري سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م ، وقيل هو من تولى خطط بغداد وكان مع المنصور عند بنائها . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص٢٣٠ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص١٦٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦١٩ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١ ، مصر – ١٩٦٣ ، ص٣٤٠.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦١٨ ؛ الديار بكري ، حسين بن محمد ، تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس ، ج٢ ، بيروت – ١٢٨٣هـ ، ص٣٢٥.

(٧) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦١٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص١٥ ؛ العيني ، السيف السيف المهند ، ص١٤٠ .

وسطها الجامع وقصره لئلا يكون اقرب الى موضع من الاخر [١]، واتم البناء بعد أربع سنوات [٢] فاصبحت في عام ١٤٩هـ/ ٧٦٦م جاهزة للسكنى ، فنقل المنصور بيوت الاموال والخزائن والدواوين اليها وسماها مدينة السلام [٣]، وكانت نفقة بنائها كبيرة قدرت بملايين الدراهم[٤].

والذي يهمنا بعد هذا العرض السريع لبناء بغداد ، هو موقع الاسواق فيها والناحية الحضرية التي حققها المنصور في هذا الجانب . ففي البداية ، جعل الخليفة المنصور الاسواق في طاقاتها الاربعة ، في كل واحد سوق [٥]، لكنه بعد مدة من الزمن نقلها الى خارج المدينة الى منطقة الكرخ . بسبب اتساع هذه الاسواق وكثرتها واستقطابها لعدد كبير من الناس من شتى الانحاء مما ادى الى تضايق السكان ، فضلاً عن ذلك كان الغرباء الذين يفدون على السواق يبيتون فيها فخاف أن يكون بينهم جواسيس [٦] يهددون امنها وسلامتها .

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٢ ؛ الهمداني ، ابو بكر احمد بن محمد ، بغداد مدينة السلام ، تحقيق : صالح احمد العلي ، ط١ ، العراق – ١٩٧٧ ، ص٣٥ ؛ جلوب ، جون باجوت ، امبراطورية العرب ، تعريب : خيري حماد ، بيروت – ١٩٦٦ ، ص٤٧٣.

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦٠٩ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧١ ؛ الجومرد ، عبد الجبار ، ابو جعفر المنصور ، بيروت – ١٩٦٣ ، ص٢٠١ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٣١٢ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٠٨ .

(٤) ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٦٩ ؛ الاربلي ، عبد الرحمن سبط قينتو قينتو ، خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك ، تحقيق : مكي السيد جاسم ، بيروت – ١٨٨٥ ، ص٧٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٩٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦٥٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص٦٥٣ ؛ سعد ، فهمي عبد الرزاق ، العامة في بغداد (في القرنين الثالث والرابع الهجري) ، بيروت – ١٩٨٣ ، ص١٦٦ ؛ الاطرقجي ، رمزية ، الحياة الاقتصادية في مدينة بغداد ، بغداد – ١٩٨٢ ، ص٣٨ .

ولعب العامل الصحي دوره في هذا الجانب ، لان دخان بعض الصناعات لوث البيئة وسود الجدران مما ادى الى تشويه جمالية المدينة ، لذا أمر ببناء الكرخ عام ١٥٧هـ /٧٧٣م ونقل الاسواق اليها [١].

خطط المنصور موضع الاسواق في الكرخعملياً بنفسه على قطعة قماش اولاً [٢]، فجعلها بين الصراة [٣] الى نهر عيسى [٤]. ويبين تخطيطه هذا تحسسه العميق لنواحي الحضرية المهمة التي تشكل اساساً دقيقاً في فهم العرب المسلمين للتخطيط الحضري ، إذ افرد لكل بضاعة او صناعة مكاناً خاصاً بهم في السوق . ويتضح هذا من ابعاد القصابين مثلاً الى آخر السوق خوفاً من استعمالهم للسكاكين في غير موضعها [٥]، وهذا الانماط في التخطيط الحضري والمعماري كانت سمة خاصة بتراثنا بتراثنا العربي الاسلامي الحضري ، إذ ازدهرت اسواق بغداد تدريجياً

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٩ ؛ الزركاني ، الاسواق في بغداد ، بغداد مدينة السلام ، ابحاث الندوة التي اقامها مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد وبالتعاون مع امانة بغداد ، بغداد – ١٩٩١ ، ص١٢٨ ؛ العلي، معالم بغداد الادارية والعمرانية ، بغداد – ١٩٨٨ ، ص٣٦ ؛ المدور ، جميل نخلة ، حضارة الاسلام في دار السلام ، القاهرة – ١٩٣٥ ، ص٢٣ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٨٠ ؛ ليسنر ، يعقوب ، خطط بغداد ، ترجمة : صالح احمد العلي ، العراق – ١٩٨٤ ، ص٧٤ .

(٣) الصراة : نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى من بلدة المحول ، يتفرع منه عدة انهار ، ويصل بغداد ويصب في دجلة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٩٩ .

(٤) نهر عيسى : سمي بذلك نسبة الى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، مأخذه من الفرات الفرات ، ينتهي الى المحول ، انهاره المتفرعة تخترق بغداد ، يصب في دجلة ، يمر بعدة قناطر وعلى كل قنطرة سوق مثل قنطرة الزياتين وقنطرة الرمان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢١ .

(٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص١٣ ؛ حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ، القاهرة – ١٩٨٣ ، ص٣١٢ .

واستقطبت كل انواع المتاجر من شتى انحاء العالم آنذاك ، واصبحت فيما بعد هي واسواق الاسكندرية يقرران اسعار البضائع في العالم ولا سيما الكمالية منها [1].

ولمسايرة التطور الحاصل في بغداد ، بجزايها الرصافة والكرخ ، استمر الخلفاء بعد المنصور ببناء الاسواق المتخصصة ، كالذي فعله الخليفة المعتصم (٢١٨ –٢٢٧هـ/٨٣٧ – ٨٤١م) الذي بنى العديد من الاسواق ، وجعل لأهل كل صنعة سوق خاص بهم [2]. ولا بد من التنويه الى نقطة مهمة ، اذ ان ظاهرة التخصص كانت موجودة في اسواق المدن العربية قبل بناء بغداد ، وان لم يكن بالشكل المنظم الذي تبنته الدولة رسمياً فيما بعد ، كما في اسواق البصرة [3]، والكوفة [4]، والفسطاط [5]، والقيروان [6]، وواسط [7]. ولهذا التخصص مزاياه التي كان اهمها تقوية تقوية الروابط الحرفية والاجتماعية بين اصحاب الحرفة الواحدة ، وسهولة الاشراف عليهم من قبل المحتسب ولمنع المنافسة غير المشروعة كالاحتكار مثلاً ، لذا استمرت حالة التخصص هذه في العصر العباسي[8] ، فكان **((لكل صنف او حرفة اماكن محددة لا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة))** [9]، فاصبح لكل

---

(١) متز ، ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ج٢ ، القاهرة – ١٩٤٨ ، ص٢٧٢ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٠ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٧ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٦ .

(٥) ابن دقماق ، الانتصار ، ج٤ ، ص٣٢ – ٣٤ .

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٢١٦ .

(٧) ابن بحشل ، تاريخ ، ص٤٤ .

(٨) الزركاني ، الاسواق ، ص١٣٠ .

(٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٨٠ ؛ لسترانج ، بغداد ، ص٦٥ ؛ العاني ، اسامة عبد المجيد، السمات الاقتصادية للعصر العباسي الاول ، مجلة دراسات اقتصادية ، ع٤ ، بغداد – ٢٠٠٠ ، ص٢٢ .

حرفة سوق خاص بها [1]. كما ظهرت بعض التجمعات التجارية حول الانهار ، ونسبت الانهار للبضاعة التي تعرض عليها ، مثل نهر البزازين ونهر القلائين ونهر الدجاج وغيرها [2].

وتدريجياً اصبح للمهنة رتب معينة يتدرج فيها المنتسب اليها ، فالمنتمي يكون عاملاً ثم مبتدأ ثم صانعاً فاستاذاً .وغالباً ما يكون هناك رئيس لكل حرفة تعترف به الحكومة ، يمثل اصحاب حرفته ، ويكون حلقة الوصل بينهم وبين الحكومة [3]، وكان من نتيجة هذا التنظيم والتخصص ظهرت النقابات المتخصصة ، الزراعية والتجارية ثم الحرفية ، التي سميت آنذاك بالاصناف[4] وكان الغرض منها ضمان مصالح العاملين في السوق [5]، كما ضمنت هذه النقابات مصالح اعضائها من أهل السوق في حالة حدوث نكبة لاحدهم او فيما اذا اراد احدهم الزواج ، فيخلون له السوق ليوم او يومين لينفرد بالبيع ويتغلب على ضائقته المالية ، إذ حصل ان أفلس أحد القصابين ، فبادر اهل صنفه الى مساعدته من خلال اخلاء السوق له ليسد حاجته ويتمكن ثانية من الوقوف في السوق [6]. ومن خلال هذه النقابات اصبحت كل مهنة حكراً على اصحابها لا نها – النقابات – ساعدتهم على اتقان اسرار الصنعة

---

(١) شلبي ، احمد ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ط٨ ، ج٣ ، مصر – ١٩٨٥ ، ص٢٢٤ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧١ .

(٣) الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : الباز العريني، بيروت – لا . ت ، ص١٢ ؛ القيسي ، نوري حمودي ، الحرف والاصناف والنقابات في العصر العباسي ، مجلة ما بين النهرين ، ع٤٧ ، الموصل –١٩٨٤ ، ص١٣٦ .

(٤) الشيخلي ، صباح ابراهيم ، الاصناف في العصر العباسي نشاتها وتطورها ، العراق –، ١٩٧٦ ، ص٨٠ .

(٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص١٣ .

(٦) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ج٢، القاهرة –١٩٦٤، ص٢٠٠ – ٢٠١.

قبل ممارستها ، فاصبح لا يعرفها سوى اصحابها الذين يحافظون عليها [١]، فالصاغة مثلاً يعرفون من اسرار صنعتهم مالا يعرفه غيرهم [٢]، كما وجب على اهل الصنعة الواحدة إتقان صنعتهم إذ وجهوا عناية شديدة الى هذا الجانب ، فمثلاً لا يخرج الخبازون الخبز حتى ينضج جيداً ، وهذه الامور كلها كانت تراقب بدقة من قبل المحتسب [٣]، الذي كان له دور مهم ومتميز في هذه المدة في السوق ، لان هذه المهنة لم تكتسب صفتها الرسمية الا في العصر العباسي ، وهذا لا يعني عدم وجودها قبل هذه الحقبة ، بل وردت لاول مرة في العصر الاموي ، وذلك عام ١٠٣هـ/٧٢١م إذ كان اياس بن معاوية [٤]محتسباً في واسط في عهد ابن هبيرة [٥]. الا انها لم تكن آنذاك وظيفة رسمية ، وانما كانت تطوراً طبيعياً لما أوجده الرسول الاعظم (ﷺ) وخلفائه الراشدين (رضوان الله عنهم) من نظم وتقاليد ووظائف خاصة بالاسواق ، وأهمها وظيفة العاملة او الوالي على السوق ، التي ظهرت رسمياً في العصر الاموي [٦].

---

(١) التلمساني ، ابو عبد الله محمد بن احمد ، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، تحقيق : علي الشنوفي – ١٩٦٧ ، ص٨٤ .

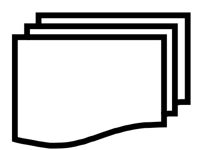
(٢) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٧٧ .

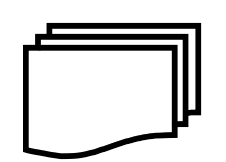
(٣) ن ، م ، ص٢٣ .

(٤) اياس بن معاوية : بن قرة المزني ابو وائلة ، ولد سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م ، قاضي البصرة واحد الرجال الافذاذ ، وجيهاً عند الخلفاء ، عرف بصدق الحدس والفراسة ، توفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٢٢٣ – ٢٢٦ .

(٥) يزيد بن عمر بن هبيرة : ابو خالد الفزاري ، امير وقائد ، من ولاة الدولة الاموية ، ولد سنة ٨٧هـ/٧٠٦م اصله من الشام ، ولي قنسرين ثم العراقين سنة ١٢٨هـ /٧٤٥م ، قاتل العباسيين ، فقتله ابو العباس السفاح بواسط عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٦ ، ص٣١٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٨ ، ص١٨٥ .

(٦) وكيع ، اخبار القضاة ، ص٣٥٣ ؛ السامرائي ، حسام قوام ، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، دمشق –١٩٧١ ، ص٣٠٧ .





١. دور اهل السوق في الاحداث السياسية

من الواضح ان الاسواق شكلت ، عبر مختلف العصور ولدى مختلف الامم والشعوب ، احدى اهم المراكز الحيوية في المجتمع ، ومنها مجتمع الدولة العربية الاسلامية من خلال استقاطبها لعدد كبير من الناس ، بما فيهم اصحاب النفوذ والسلطة ، بالاضاقة الى تأثيرها القوي في المراكز التجارية الاخرى ، ولا سيما المجاورة لها . ولهذا اصبحت الاسواق احدى مراكز القوى ذات التأثير السياسي غير المباشر ، بل والمباشر احياناً ولا سيما في العصر العباسي ، هذا العصر الذي حفل بكثرة احداثه السياسية وتنوعها سواء في العاصمة بغداد والحواضر الكبيرة وبخاصة في فترات الضعف والتفكك السياسي الذي نتج من تدخل العناصر الاجنبية وتنفذها وسيطرتها على مقدرات الدولة العربية الاسلامية .

وبهذه الاحداث وغيرها كان دور السوق واضحاً إذ أن اهله لم يقفوا مكتوفي الايدي ازاءها . إذ لعب التجار والحرفيون دوراً مهماً من خلال مشاركتهم للعامة والخاصة في تعيين الخلفاء وولاة العهود او عند تعيين امراء الاقاليم ، كما شاركوا ايضاً في الاحتفال بالانتصارات التي حققتها الدولة على اعدائها الخارجيين كالروم البيزنطيين وفي الداخل ضد تمردات خطرة كحركات الخوارج والزنج والقرامطة ، بالاضافة الى دورهم في مساعدة الدولة في تقوية الثغور ضد أي اعتداء خارجي .

وبما ان السوق شكل احد المراكز الفاعلة في المجتمع آنذاك ، أصبح من الطبيعي ان يتعرض الى انواع من الممارسات تمثلت بحالات الشغب والفتن والتمرد والعصيان ، والى النهب والسلب والحرائق ، إذ كان السوق مسرحاً للعديد من هذه الحالات .ولا سيما ان الاثرياء من اهل السوق ككبار التجار مثلاً كانوا محط انظار الاخرين واطماعهم سواء من بعض رجال السلطة ولا سيما في فترات الضعف والتسلط الاجنبي وما كان يرافقها من حالات العجز المالي وعدم قدرة بيت المال على تأمين النفقات الكثيرة ، بسبب فساد الادارة الاقتصادية وسوء السياسة المالية وخرابها بها جراء

سـوء تقـدير الحكـام ، او مـن قبـل عناصـر بعـض الحركـات المناوئـة ذات الطـابع الاجتماعي كحركة الشطار والعيارين .

فمنذ البداية شارك أهل السوق في الدعوة العباسية ، إذ كان الكثير من اعضائه تجـاراً ، قـدموا الكثيـر مـن المسـاعدات الماديـة للـدعوة [١]، كمـا كـان مـن اوائـل مـن استجاب للـدعوة نفـر مـن اهـل السـوق فـي الكوفـة وذلـك فـي العـام ١٠٠هـ/٧١٨[٢]، بالاضافة الى ذلك ، فقد كلفت قيادة الدعوة العباسية بعض التجار بنشر الدعوة في خراسان متسترين بعملهم التجاري ، تخلصاً من مراقبة السلطة الاموية انذاك [٣].

ومن ناحيـة أخرى ، يشكل فتح الاسواق معناً مهماً جداً عند الـدخول الـى ايـة مدينـة ، فهـو احـد العلامـات الدالـة علـى الامـان والاطمئنـان [٤]، ذلـك ان كسـب اهـل السوق واشاعة الطمأنينة بينهم يعد كسباً لاغلب فئات المجتمع وبمختلف مستوياته ، ولان السوق يعد مصدراً مهماً من مصادر العيش ، لذا كانت بعض الاسواق متنقلة، ترافق حركة الجيوش العربيـة الاسلامية الجهادية في التحرير او الفتح ، لتوفير الميرة للجند [٥]من جهة وتحسين وضع البائع المعاشي من جهةً أخرى .

ومن جانب أخر نجد ان الدولة كانت تفتح الاسواق لتحقيق المصلحة العامة ولا سيما اذا كان هذا الاجراء يخفف من حدة حالات الاضطراب والتمرد ، لكي يستطيع الناس سد حاجاتهم .

ولاجل عدم دفـع الاحداث لمزيد مـن التـوتر ، كالـذي فعلـه الخليفـة ابـو جعفـر المنصـور حينما أمر بفتح أسواق إحدى المدن لتخفيـف حالـة الفتن فيها[٦]، وفـي حالـة

---

(1) M .A. Shaban , The Abbasid Revolution , cambridge University , 1970 , P. 157 – 158.

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٥٦٢ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص٥٩ .

(٣) ابن قتيبة ، الاخبار الطوال ، ص٢٨٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٣٢٠ .

(٥) الماوردي ، نصيحة الملوك ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، بغداد – ١٩٨٦ ، ص٤٨٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٤٩٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨١ .

اخرى نجد في احد بنود الصلح الذي عقده الخليفة هارون الرشيد مع الوصية على عرش روما عام ١٦٥هـ /٧٨١م ، دفع الفدية لخليفة المسلمين وإقامة الأسواق في الطرق [١] للدلالة على استتباب الامن وانتهاء الحرب .

ولا بد من الاشارة الى نقطة مهمة ، وهي الدور الفاعل الذي اتخذه كبار اهل السوق ولا سيما من قبل التجار الاثرياء في دعم الدولة وإسنادها في حالات التمرد والعجز المالي ، ذلك بتقديم القروض لها التي تعينها على تجاوز تلك الازمة ، إذ اقترض الخليفة ابو العباس السفاح (١٣٢ –١٣٦هـ/ ٧٤٩ – ٧٥٣م) من احد التجار مبلغ مليون دينار دفعها الى أحد معارضيه [٢] في سبيل القضاء على حركته سلماً دون تقديم خسائر من أي نوع ، كما فعل الخليفة المأمون (١٩٨ –٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣م) عندما اقترض من التجار مالاً لتغطية حاجات الدولة المختلفة لحين وصول الواردات الى بيت المال [٣]، اما الأمير العباسي ابراهيم بن المهدي [٤] فقد استعان بعد مبايعة اهل بغداد له عام ٢٠٢هـ/٨١٧م بالتجار ، فاقترض منهم مالاً لدفع رواتب الجند لحين سد النقص الحاصل في بيت المال [٥].

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص١٥٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٦٥ .

(٢) غنيمة ، يوسف رزق ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، بغداد – ١٩٢٤ ، ص١٠٣.

(٣) الجهشياري ، محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : ميخائيل عواد ، بيروت – ١٩٦٤ ، ص٢٣ – ٢٥ ؛ الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، النشاط المصرفي في الدولة العربية الاسلامية ، بغداد – ٢٠٠٠ ، ص٣٥ .

(٤) هو ابراهيم بن الخليفة المهدي الملقب بالمبارك ، كان فصيحاً بليغاً عالماً اديباً شاعراً علماً في فن الموسيقى ، ولد سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٨م ، ولي دمشق اعواماً ، وبويع بالخلافة زمن المأمون ، وتوفي عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٥٥٧.

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٥٥٧ .

كذلك فعل الوزراء ، الذين استلفوا الاموال لسد النقص الحاصل في بيت المال العام ، إذ اقترض الوزير محمد بن عبيد الله بن خاقان[١] وزير الخليفة المقتدر (٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ -٩٣٢م) من التجار المجهزين للدقيق مبلغاً قدره اربعمائة الف درهم في سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م [٢]، لتسيير شؤون الدولة ، بسبب سوء الادارة المالية المتعمد الذي طبقه المتنفذين الاجانب الاتراك الذي ادى الى نقص حادٍ في واردات الدولة ، كما استعان الوزير علي بن عيسى[٣]خلال وزاراته المتعددة بكبار التجار أو الصيارفة كلما وقع في ازمة مالية وكان يدفع لهم مقابل قروضهم السفاتج[٤] كضمان لهم .

هذه الاخبار والرويات تكشف عن مدى التلاحم القوي بين الدولة والرعية، والتي كان لاهل السوق فيه دور كبير ، إذ ساندوا الدولة باموالهم لابعاد المخاطر عنها من اعدائها [٥].

ولم يكتف اهل السوق بتقديم الاموال لمساعدة الدولة ، بل شاركوا في المعارك التي كانت تحصل ضدها[٦] ، إذ ساندوا الخليفة ابو جعفر المنصور ضد

---

(١) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، بيروت - لا . ت ، ص٢٦٦ .

(٢) مسكويه ، ابو علي احمد ، تجارب الامم ، صححه : هـ . ف آمدروز ، ج٥ ، مصر - ١٩١٤ ، ص٣٢٦ .

(٣) علي بن عيسى : بن داود الجراح ابو الحسن ، البغدادي الكاتب ، الامام المحدث الصادق ، ولد حوالي سنة ٢٤٠هـ /٨٥٤م ، وزر للخليفة المقتدر والقاهر ، توفي عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٥ ، ص٢٩٨ .

(٤) السفاتج جمع سفتجة :وهو ان يعطي شخص لاخر مالاً ، وللاخر مال في بلد المعطي ، فيوفيه اياه هناك ، كي يتلافى مخاطر الطريق . الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط١ ، بيروت - ١٤٠٥هـ ، ص١٥٧ ؛ لجنة من العلماء ، المعجم الوسيط ، ج١ ، ط٢ ، مصر - ١٩٧٣ ، ص٤٣٢ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ، ص١٨٥ .

(٦) الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن - ١٨٨٥ ، ص٣٠٨ .

الراوندية [١] عند خروجهم عليه سنة ١٤١هـ/٧٥٨م في الكوفة ، وساعدوه في القضاء عليهم [٢]، وفي خلافة المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ/ ٧٧٤ – ٧٨٥م) ، ساند اهل السوق الدولة ضد اعدائها الخارجيين حين شاركوا في الجيش الذي جاهد البيزنطيين بقيادة ولي العهد انذاك هارون الرشيد عام ١٦٥هـ /٧٨١م [٣] . وحينما كان جيش الامة يحقق انتصارات خالدة على الاعداء الخارجيين ، كانت الاحتفالات بالنصر تقام في كل مكان ، كتلك التي حدثت بعد الانتصار المبين الذي حققه الجيش على الروم البيزنطيين في معركة ملاذكرد [٤] الشهيرة عام ٤٦٣هـ /١٠٦٨م ، حيث سادت الغبطة الغبطة والفرحة بين الناس وعمت الاحتفالات بها في كل مكان ، كان فيها لاهل السوق مشاركة لطيفة عن طريق نفخ الابواق وقرع الطبول في الاسواق احتفاءاً بهذا الانتصار [٥].

لم يقتصر دور اهل السوق على المساندة السياسية للخلافة ، من حيث تقديم الاموال او المشاركة في حركات الجهاد ، بل اصبحوا عيوناً للدولة ولا سيما الصيارفة

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٥٠٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٥٠٥ ؛ ابن الاثير ن الكامل ، ج٤ ، ص٣٦٦ ؛ ابن العبري ، غريغورس ابو الفرج هارون الملطي ، تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه : الاب انطون صالحاني اليسوعي ، ط٢ ، بيروت – ١٩٥٨ ، ص١٢٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص١٥٣ .

(٤) ملاذكرد : من اهم المعارك الفاصلة في التاريخ ، حدثت سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ، على عهد الب ارسلان السلجوقي ضد الروم ، فقد كانت جيوش الروم بقيادة رومانوس وعددهم ٢٠٠ الف مقاتل والسلاجقة نحو ١٥ الف مقاتل ، كان غرض روما مهاجمة الدولة العربية الاسلامية والاحتفاظ بسيادتها على ارمينية ، وكان انتصار الجيش العربي الاسلامي انتصاراً ساحقاً . ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج٨ ، بغداد – ١٩٩٠، ص٢٦٤ ؛ امين ، حسين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، بغداد – ١٩٦٥، ص٧٤ – ٧٥ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٦٤ .

والتجار منهم بحكم طبيعة عملهم الذي يوجب تنقلهم بين مختلف المناطق لمتابعة اعمالهم . فمنهم الصراف ابن مقرن ، الذي كان عيناً للخليفة المنصور في الكوفة ، والذي نقل اخباراً طيبة له عن الوضع الآمن والمستقر فيها [(١)]، وعندما اراد طاهر بن الحسين[(٢)]والي الخليفة المأمون على اقليم المشرق الخروج على سلطة الخلافة ، اكد له عامل البريد هناك ان اخبار عصيانه ستصل الخليفة عن طريق التجار باسرع من اخباره هو[(٣)]. ومن ناحية اخرى،نجد الخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦ – ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ – ٨٩٢م) يستعين في عام ٢٦١هـ /٨٧٤م بالتجار لنقل خبر تولية يعقوب بن الليث الصفار [(٤)] مناطق خراسان وجرجان وطبرستان والري وفارس [(٥)].

وفي سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م وصلت كتب التجار الى الوزير علي بن عيسى تخبره بالحرب بين القرامطة [(٦)] ووالي الشام
وبتغلب القرامطه عليه [(١)].

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٦٣١ .

(٢) طاهر بن الحسين : بن مصعب بن زريق بن ماهان ، الملقب بذو اليمينين ، من اكبر اعوان الخليفة المأمون ، ولد سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م ولاه المأمون خراسان ، توفي ٢٠٧هـ/٨٢٢م . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٢٨٦ .

(٣) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ط١، مصر – ١٩٢٧،ص٢٠٩ ؛ سعداوي ، نظير حسان ، نظام البريد في الدولة الاسلامية ، القاهرة – ١٩٥٣ ، ص٧٤ – ٧٥ .

(٤) يعقوب بن الليث الصفار : اصله من سجستان ، كان يعمل في النحاس ثم شارك في قتال الخوارج والاتراك ، كان نفوذه يزداد فمكنه من محاربة والي فارس ، واستولى على بلخ ونيسابور، توفي بجنديسابور سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م. الذهبي،سير اعلام النبلاء ، ج١٢، ص ٥١٣.

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٥١٦ .

(٦) القرامطة : طائفة مشهورة من الزنادقة ، وهم اتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنوة زرادشت ومزدك وماني وكانوا يبيحون المحرمات ، وكان ابتدأ امرهم في سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م في الكوفة زمن الخليفة المعتمد ، واستطاع رئيسهم ابو سعيد القرمطي الجنابي من تأسيس كيان لهم في البحر سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م بعد ان سيطر على الاحساء والقطين وسائر بلاد البحرين ، جرت بينه وبين الخلافة معارك في العراق والشام والبحرين في زمن المعتضد والمكتفي والمقتدر بالله ، قاموا باعمال عدائية كالسلب والنهب ، تم القضاء عليهم بعد مناوشات طويلة زمن المقتدر بقيادة هارون بن عريب ، فقضي امرهم. التوحيدي ،الامتاع والمؤانسة،ج٢،ص٧٧؛ابن الاثير ،الكامل،ج٦، ص٣٩٦.

ومن الجميل التنويه هنا ، بمشاركة اهل الاسواق ، شأنهم في ذلك شأن بقية الناس في مختلف المناسبات السياسية لعل في مقدمتها صعود خلفاء جدد الى سدة الخلافة او تعيين ولاة العهود ، فعندما ولى الخليفة هارون الرشيد ولاية العهد الثانية لابنه المأمون عام ١٨٣هـ/٧٩٩م شاركه التجار في ذلك الامر إذ حصل على تأييد كبارهم في البيعة لابنه المأمون ثم حصل على تأييد اهل الاسواق جميعاً (٢)، وايد اهل السوق تعيين خلفاء محددين ، ففي سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢م شارك اهل السوق في بيعة الخليفة المستعين (٢٤٨ – ٢٥٢هـ/ ٨٦٢ – ٨٦٦م) (٣). وعند استخلاف المتقي لله (٣٢٩ – ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ – ٩٤٤م) ثم اخذ رأي كبار التجار في امر تعيبه خليفة (٤).

ويلحظ مما سبق ، أثر كبار اهل السوق ولا سيما التجار في اختيار الخلفاء الجدد وخاصة في حالات الضعف والتفكك السياسي التي رافقت حقب النفوذ التركي والاحتلال الاجنبي البويهي والسلجوقي لمقدرات الدولة العربية الاسلامية ، فكسب رأي هؤلاء يعني كسب بقية اهل السوق وبالتالي عامة الناس لارتباط الجميع بهم ، ولتأثر بعضهم بالبعض الاخر بقوة .

ولم يترك أهل السوق حدثاً سياسياً صغيراً أو كبيراً الا وشاروكوا فيه ، حتى وان كانت تلك الاحداث لا تخص حياتهم المادية في البيع والشراء مباشرة ، لكنها تمسهم كمواطنين صالحين ولا بد ان يكون لهم دور بها بعدهم يعيشون في الدولة نفسها والمجتمع ذاته ، لذا فما يحدث فيها يخص الناس جميعاً بما فيهم هم . اسهموا في الاحداث السياسية الحساسة التي تعرض لها البيت العباسي كالفتنة التي حصلت بين الاخوين الامين والمأمون عام ١٩٥هـ/ ٨١٠م إذ انخرط التجار والصناع في جيش الخليفة الامين بقيادة القائد علي بن عيسى بن ماهان الذي اعده لمحاربة اخيه

(١) الطبري ، تاريخ ، ج١٠ ، ص٩٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤١٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٩، ص٢٥٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٣١١.

(٤) الصولي ،ابو بكر محمد ، اخبار الراضي بالله والمتقي بالله ، القاهرة –١٩٣٥،ص ١٨٦.

المأمون [١]. وعندما علم قائد جيش المأمون طاهر بن الحسين بمشاركة أهل السوق في المعركة أدرك خطورة الأمر ، لان هذا يعني وقوف الناس جميعاً خلف قيادتهم ، لذا زاد من عدد القوات المشاركين وجعل كل قائد في المكان المناسب على وفق خبرته العسكرية [٢]. والملفت للنظر ، الشجاعة الفائقة التي أبداها أهل السوق في محاربة جيش طاهر بن الحسين ، ومقاومتهم الشديدة له التي دفعته الى تسمية المناطق التي قاتلوه فيها من بغداد سواء في الرصافة أم أسواق الكرخ والخلد وما والاها بـ (دار النكث) وذلك لمخالفة اهلها [٣]. وحاصر طاهر بن الحسين بغداد سنة ١٩٧هـ/٨١٢م [٤]، ومع استمرار الحصار وضراوته ، فكر بعض اهل السوق بمفاوضته [٥]، الا انهم عدلوا عن ذلك [٦]، وانتهى الامر بمقتل الامين عام ١٩٨هـ/٨١٣م ، مما شكل ضربة لانصاره ومنهم اهل الاسواق الذين تعطلت أسواقهم وتضررت مصالحهم [٧]، بسبب حسهم الوطني العالي .

وبسبب هذا الحس ، شعر الاهالي في بغداد بالخطر المحدق بهم جراء السياسة التي اتبعها الخليفة العباسي المعتصم بالاكثار من عنصر أجنبي جديد هم الاتراك والاعتماد عليهم في سد النقص الحاصل في المؤسسة العسكرية بسبب ابتعاد العرب عن الانخراط في الجيش، فبدأت اعدادهم تكثر ، وكثر تبعاً لذلك المصادمات

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص٤٠٦ .

(٢) ن ، م ، ج٨ ، ص٤٧٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٦١ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص٤٤٧ .

(٤) ن ، م ، ج٨ ، ص٤١٧ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣٢٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص٤٦٧ ؛ العلي ، معالم بغداد ، ص١٦٧ .

(٧) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص٤٥١ .

بين الطرفين بسبب التفاوت الحاد في المستوى الفكري والحضاري بينهما [١]. وكان في مقدمتهم اهل السوق ، الذين كانوا من اكثر شرائح الناس تضرراً ومعاناة من سوء تصرف هؤلاء الاجانب الذين عاثوا في الاسواق فساداً وتخريباً ونهباً للاموال والبضائع ، فبدأوا مع بقية الناس بمقاومتهم في محاولة للتخلص منهم ودفعاً لاذاهم [٢]، هذا الامر دفع الخليفة المعتصم الى بناء عاصمة جديدة هي سامراء والانتقال اليها مع جنده الاتراك تخلصاً من تلك الحالة [٣]، وذلك في العام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م .

اما موقف اهل السوق من الفوضى التي اعقبت وفاة الخليفة المنتصر وتولي الخليفة المستعين سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م فكان واضحاً وحاسماً ، اذ نجدهم يحملون السلاح من الرماح والتروس لمقاومة الاتراك وقتالهم في بغداد وسامراء [٤].

ومن جهة أخرى ، نجد ان اهل السوق يقفون بمسؤولية تامة ضد التمردات والفتن الداخلية ولاسيما إذا كان هدفها الانتقام من السلطة الحاكمة عن طريق التخريب والنهب والقتل وإحراق المصالح التجارية ، لذا قاوموها بقوة ، حفاظاً على حياتهم ورعاية لمصالحهم وحفاظاً على أموالهم وكسباً لمعيشتهم ، وكذلك دفاعاً عن الوطن والأرض ، وهذا ما كان واضحاً في موقفهم تجاه حركتي الزنج [٥]

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٨ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٩ .

(٣) ن . م ، ج٤ ، ص١٠ ؛ حسن ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٨٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٢٥٧ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص١٥٧ .

(٥) حركة الزنج : ظهرت سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ، بخروج قائد الزنج بالبصرة وهو علي بن محمد بن احمد ، وعسكر بها وزعم انه علوي ، فبادر لدعوته عبيد اهل البصرة السودان، والزنج والتف حوله كل صاحب فتنة ، هزم جيوش الخليفة ، واستباح البصرة ، وامتدت ايامه الى ان قتل عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م بقيادة الامير العباسي الموفق شقيق المعتمد على الله . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص١٢٩-١٣٠ .

والقرامطة. فادراكا منهم لخطورة تمرد الزنج وآثارة السلبية على مجمل قوة الدولة، ووضع الاسواق التي تأثرت بقوة جراء هذا التمرد الخطير ، لذا نجدهم يتطوعون في صفوف الجيش الذي قاده الامير العباسي الموفق المحاربة الزنج في البصرة بامر من شقيقه الخليفة المعتمد وذلك سنة ٢٥٨هـ / ٨٧١م الذي استطاع فعلاً إخماد هذه الحركة مما ادى الى استتاب الأمن والنظام ومن ثم حماية مصالحهم [١] .

اما مع القرامطة فقد تضرر أهل السوق كثيراً بسبب اعمالهم التخريبية إذ عاثوا بالارض فساداً بعد تكرر دخولهم المدن وتدميرها وحرقها ونهبها، ففي سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م خربوا اسواق البصرة [٢].وتكرر دخولهم اليها عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م إذ احرقوا سوق المربد [٣] ، وقاموا في سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م بمداهمة اسواق الكوفة وسرقه ما فيها ، فحاربهم اهلها [٤]، وفي سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م هجموا على قصر ابن هبيرة [٥] فقتلوا الكثير من اهلها وهرب الناجون الى بغداد ، وضجوا في الاسواق واستنفروا الناس ومنعوهم من فتح دكاكينهم ثم أنضم اليهم جماعة من العامة ، وطالبوا الخليفة المقتدر بحمايتهم وقتال القرامطة [٦].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٢٣٦ ؛ المسري ، حسين علي ، تجارة العراق في العصر العباسي ، الكويت – ١٩٨٢ ، ص١٣٠.

(٢) عريب ، بن سعد ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مج١١ ، القاهرة – لا.ت ، ص٤١ .

(٣) مؤلف مجهول ، كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، تحقيق : عمر السعيدي ، ج٤ ، ق١، دمشق – ١٩٧٢ ، ص٢٢.

(٤) عريب ، صلة تاريخ ، مج١١ ، ص١٠٧ .

(٥) قصر ابن هبيرة : مدينة كبيرة تنسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة احد القادة الامويين الذي تحصن بواسط خلال الحرب بين الجيشين الاموي والعباسي في العراق ثم قتل في مسجده بالقصر الذي يقع على ضفة الفرات الشرقية فوق الكوفة ، وتميزت هذه المدينة بكثرة اسواقها وسعتها . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ .

(٦) الاصفهاني ، حمزة بن الحسن، تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء ، ط٣، بغداد – ١٩٦٣، ص١٥٥.

ان سوء الاوضاع العامة ، لاسيما الاقتصادية منها كان يترك بطبيعة الحال آثاراً سلبية على حياة الناس ، لعل أخطرها هو فقدان المواد وما يصاحبها من غلاء شديداً في الاسعار ، مما كان يدفع بالبعض من الناس الى ممارسة أمور منافية للدين والاخلاق والاعراف العامة كالقيام بعمليات السلب والنهب في الاسواق كتلك التي حدثت في عهد الخليفة المقتدر سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م ، الذي أدرك خطورة الموقف، فامر بفتح الدكاكين التي تملكها والدته واولاد ووزيره وبقية كبار الدولة وباع المواد باقل من سعرها وطالب التجار ان يبيعو بالسعر نفسه فهدأت الامور [١]. وكانت هذه بادرة جيدة فعلها الخليفة من اجل حصول البسطاء من الناس على المواد الضرورية بما يلائم دخلهم الحدود .

ولان الاسواق مراكز تجمع كبيرة ومؤثرة لذا كانت دائماً محط أنظار المتمردين والمعارضين للسلطة والحكم ، والذين وجدوا فيها المكان المناسب للتعبير عن ارائهم ومحاولة نشرها ، ومنهم أنصار محمد النفس الزكية [٢]، الذين اثاروا الاضطراب في بغداد واسواقها سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م [٣].كما شكلت الاسواق احياناً اماكن للتمرد ضد السلطة ، ففي عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩- ٢٨٩هـ/٨٩٢ – ٩٠١م) آتخذ اهل السوق من دكاكينهم أماكن لاعلان تمردهم على الدولة فارسل لهم

---

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص٧٣ ، ج٢ ، ص ٧٤ .

(٢) محمد النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ابو عبد اله ، ولد سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م ، لقب بالمهدي والارقط والنفس الزكية ، ولد ونشأ بالمدينة ، كاان غزير العلم ذو شجاعة وحزم ، تخلف هو واخوه ابراهيم على الخليفة المنصور فقتله سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م . الناصري ، ابو العباس احمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر ومحمد الناصري ، ج١ ، الدار البيضاء – لا . ت ، ص٢٠٥- ٢٠٦؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص٢١٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٦ ، ص٢٢٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٦٥٣ .

الخليفة وزيره يحذرهم من مغبة فعلتهم هذه ويهددهم بالعقاب إذا لم يكفوا عن هذا الأمر [١].

اما عن دور أهل السوق السياسي في مواجهة الضرائب القاسية والعديدة التي كانت تفرضها السلطة عليهم ولا سيما في عهود التسلط الاجنبي على مقدرات الدولة لمواجهة النقص الحاد في وارداتها المالية ، فبهذا الصدد نذكر ما حدث سنة ٣٠٥هـ /٩١٧م عندما فرض امير البصرة الضرائب على الاسواق فثار اهل السوق وحاصروه ، ولم ينته الامر الا بعد عزله من قبل الخليفة المقتدر [٢]. وشهد عام ٣٧٤هـ /٩٨٤م فرض المحتلين الاجانب البويهيين الضرائب على بيع الامتعة [٣]، وتكرر الامر سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م حينما زادوا من قيمة الضرائب على الاسواق ولا سيما على المنسوجات التي كانت تصنع في بغداد ونواحيها ، مما اضطر العامة ومنهم اهل السوق الى التظاهر ، فحال هذا دون تنفيذ الضريبة [٤]، وفي سنة ٣٨٩هـ/ ٩٨٨م أقرت هذه الضريبة دون الاهتمام بتذمر اهل السوق وتظاهراتهم بل استخدمت السلطة العنف للقضاء على تمردهم ، وانتهى الامر بأخذ العشر من قيم المنسوجات [٥].

ولا بد من القول ، ان علاقة ودية ربطت بين بعض كبار رجال الدولة و بعض أهل السوق ولا سيما من كبار التجار ، جعلتهم يلجأون اليهم في أوقات الشدائد

---

(١) التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٨٩ ؛ الكبيسي ، اسواق بغداد حتى نهاية العصر البويهي ، بغداد – ١٩٧٩ ، ص٣١٦ .

(٢) عريب ، صلة تاريخ ، مج ١١ ، ص٦٣ .

(٣) الصابي ، تاريخ ، مج٨ ، ص٤ .

(٤) الروذراوي : محمد عبد الحسين ابو شجاع ، ذيل كتاب تجارب الامم ، اعتناء : هـ . ف. أمدروز ، ج٣ ، القاهرة – ١٩١٦ ، ص٧١ ،١٧١ ؛ الخالدي ، فاضل ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ، بغداد ، ١٩٦٩،ص٢٨٣.

(٥) الصابيء ، هلال بن محسن ، تاريخ ابي الحسن هلال بن محسن ابن ابراهيم الصابيء ، صححه : هـ .ف آمدروز ، مج٨ ، القاهرة – ١٩١٩، ص٤ .

واصبحت بيوتهم ملاجئ لهم من بطش السلطة إذ أختبأ عبد الله بن المعتز [١] عند التاجر ابن الجصاص [٢]سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م تخلصاً من تعسف الاتراك لكن امرهما انكشف ، فأحضر أمام الخليفة فاخرج الوزير ابن الفرات [٣]، التاجر ابن الجصاص وقتل ابن المعتز [٤].

والملاحظة المهمة هنا ، ان اهل السوق ونتيجة مواقفهم الصلبة السابقة، اصبحوا يتمتعون بقوة دفعت بعض الخلفاء الى الاستنجاد بهم في بعض الأحيان إذ استعان الخليفة المهتدي بهم سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م ، واستنفر هممهم للقتال معه ضد المتسلطين الاتراك [٥]. كما شاركوا في الحفاظ على الامن الداخلي ، حينما ساعدوا صاحب الشرطة في القبض على جماعة من اللصوص استفحل امرهم للغاية في عهد

---

(١) عبد الله بن المعتز : بن المتوكل بن المعتصم ، واحد دهره في الادب والشعر ، الف كتب كثيرة ، بويع بالخلافة ولقب المرتضى بالله وقيل المنصف وقيل الغالب ، ولد سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م ، اقام يوماً وليلة في الخلافة ، قتل سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م . ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، الفهرست ، ج٣ ، بيروت – لا . ت ، ص١٢٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٢٦٣.

(٢) ابن الجصاص : ابو عبد الله الحسن بن عبد الله بن الجصاص ، البغدادي ، الجوهري والتاجر الثري المعروف ، كبسه المقتدر في داره سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م ، واخذوا منه الاموال ، توفي سنة ٣١٥هـ /٩٢٧م . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج١٤ ، ص٤٦٩ .

(٣) ابن الفرات : ابو الحسن علي بن محمد بن موسى ابو الحسن ابن الفرات ، ولد في النهروان عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥م ، بلغ رتبة الوزراء ايام المقتدر ،فتولاها ثلاث مرات الاولى سنة ٢٩٦ – ٢٩٩هـ/ ٩٠٨–٩١١م . والثانية سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م لمدة سنة وخمسة اشهر،والثالثة سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م لمدة عشرة اشهر و١٨ يوماً قتل سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ،ص ٨١؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤، ص٣٢٤.

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٨١ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٤٦١ ؛ مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ج٤ ، ق١ ، ص٧.

الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠١-٩٠٧م) [١]، مستغلين سوء الاوضاع السياسية .

ومن ناحية اخرى كانت لهم مشاركات جميلة في استقبال زوار الدولة الرسميين ، من الاجانب ، ففي العام ٣٠٥هـ / ٩١٧م وفي خلافة المقتدر بالله، وصل وفد امبراطور الروم بغداد ، وقرر الخليفة إمرارهم بالاسواق التي زينت بزينة بديعة وارتدت حلة قشيبه ، فامتلأت بالناس الذين اكتروا دكاكينهم باموال طائلة[٢] ، للتفرج ومشاهدة الوفد الزائر .

وبطبيعة الحال ، ان ارتباط نشاط الاسواق بالاوضاع السياسية ، ترك بصماته عليها سلباً ام ايجاباً ، فاذا كانت الاوضاع العامة هادئة ومستقرة ، فاحوال السوق جيدة ونشاطه بمختلف مظاهره يتزايد ، والعكس صحيح تماماً ، فالمتضرر الوحيد في اغلب الاحيان هم اصحاب السوق ، فكثيراً ما كانت الاسواق تتضرر ويتعطل البيع والشراء بها نتيجة الحملات التأديبية التي تشنها الدولة على من يتجمع بها من المتمردين او الهاربين ، كما حدث في الموصل مثلاً في العام ١٣٣هـ / ٧٥٠م [٣].

وفي حصار الاتراك لبغداد سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م تضررت الاسواق كثيراً، ومنها سوق الجوهريين الذي تعرض للسرقة نتيجة تلك الظروف السيئة وفقدان الامن والنظام [٤] . وحدث الشيء نفسه في سامراء في العام ٢٥١هـ / ٨٦٥م ، اذ استغل الغوغاء سوء الاوضاع في حينها فسرقوا سوق الحلي والسيوف والصيارفة ، مما دفع أصحاب

---

(١) ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص٥٨ ؛ الكبيسي ، الاسواق ، ص٣٦٥ .
(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١، ص١٠٠ ؛ العجلاني ، عبقرية ، ص٢٠٢ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٩٠ ؛ المسري ، تجارة العراق ، ص١٠٦ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٣٢٣ .

هذه البضائع بعد ذلك الى نقل امتعتهم الى بيوتهم للحفاظ عليها من السرقة (١) . وفي عهد الخليفة المعتمد وتحديداً في سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م تضرر
اهل السوق في الحجاز كثيراً بسبب المعارضين من بني سليم الذين كانوا يغيرون على الاسواق ويأخذون ما يريدون من البضائع بأي سعر يريدوه ، عندها أرسل لهم الخليفة من يؤدبهم ويوقفهم عند حدهم (٢).

واذا كان هذا حال الاسواق في زمن التسلط التركي على مقدرات الدولة ، فإن هذه الحالة آزدادت سوءاً أبان مرحلتي الاحتلال الاجنبي البويهي والسلجوقي وما حملته في طياتها من تردي الاوضاع الاقتصادية وأثرها السلبي السيء للغاية في الاسواق واهلها بسبب سوء الادارة وانتشار الرشوة والفساد . فنهبت الاسواق ، وساد الغلاء ، وكثرت المجاعات حتى اضطر الناس الى اكل الجيف والحشيش (٣) . وطارد البويهيون كبار اهل السوق كلما اصابتهم ازمة مالية ، فكانوا اما ان يصادروا اموالهم او يرفعوا مقدار الضرائب او يفرضوا ضرائب جديدة على الاسواق، ليتمكنوا من دفع رواتب الجند ومتطلباتهم المتزايدة ، فعندما قرر أمير الامراء التركي ابن شيرزاد (٤) الذي ولي السلطة سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م زيادة رواتب الجند وكانت الخزينة لا تستطيع

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٣٠٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٢٩ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٤٤ .

(٤) ابن شيرزاد :كان كاتباً لامير الامراء السابق توزون ، وبعد موته ، تولى منصب امرة الامراء بعد الحاح الجند عليه في العام ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ، فزاد من رواتب الجند الاتراك والديالمة ، ثم قبض عليه في العام ٣٣٥هـ / ٩٤٦م من قبل معز الدولة البويهي . مسكويه، تجارب الامم ، ج٢ ، ص٨١ ؛ الدوري ،تقي الدين عارف ، امرة الامراء ،ط١ ، بغداد – ١٩٧٥ ، ص١٢٢ .

تغطية هذه الزيادة ، توجه الى كبار التجار والزمهم بدفع مبالغ كبيرة ، فتعرقل العمل التجاري وهرب التجار [١] بسبب تردي الاوضاع التي اضرت بمصالحهم .

وفي خلافة المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ / ٩٤٤-٩٤٥م) لم تكن حالة التجار واهل السوق عموماً افضل حالاً من الحقب التي سبقتها ، إذ تعرضوا الى انواع من الاذى والضرر . ففي كل حقبة يظهر لهم من يبتزهم ويمارس عليهم اصنافاً من البلاء ، وكانت هذه الحقبة من نصيب حسن القهرمانة [٢] التي كانت تكسب منازل التجار وتأخذ ما تجده لنفسها فآشتكى التجار الى ابن شيرزاد الذي رفعها الى توزون [٣] فأرجع هذه المنهوبات الى اصحابها [٤].

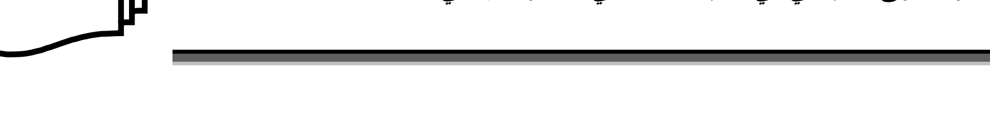
---

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص٨٣ ؛ شريف ، محمد بديع ، الصراع بين الموالى والعرب ، مصر – ١٩٥٤ ، ص١١٣ ؛ الدوري ، امرة الامراء ص١٢٢ .

(٢) حُسن القهرمانة : اصلها من اهل شيراز ، وبعد تولي المستكفي بالله الخلافة غيرت اسمها وجعلته : علم ، وصارت قهرما المستكفي واستولت على امره كله ، وهي التي حاكت المؤامر ة ضد الخليفة المقتفي بالله . مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص٧٥ ؛ الدوري ، امرة الامراء ، ص١٦٣ .

(٣) توزون : امير الامراء ، تركي الاصل ، احد كبار القواد العسكريين ، تقلد شرطة بغداد ، توفي سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م . مسكويه ، تجارب الامراء ، ج٢ ، ص٩ ؛ الدوري ، امرة الامراء ، ص١١٢ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٣٠٢ .



٢. حالات الفتن في الاسواق وآثارها

شهد العصر العباسي العديد من الفتن والاضطرابات الداخلية نتجت عن ضعف الدولـة النـاجم عـن السيطرة الاجنبيـة علـى مقـدراتها ، إذ حاولـت هـذه القـوى تحقيـق مصـالحها الذاتيـة الضيقة وطموحاتها الشخصية علـى مصلحة الدولـة العليا ، مستغلة شتى الوسائل والاساليب من أجل إضعاف سلطة الدولـة المركزيـة . كان من ضمنها الفتن والاضطرابات الداخلية التي حالت دون استقرار الوضع العام بجوانبه الاقتصـادية والاجتماعيـة ومـن ضـمنها احوال السـوق وأهلـه ، فكثيـراً مـا كانـت الاسـواق تغلـق عـد حدوث الفتن والمنازعات والاضطرابات (١).

ففـي عـام ٣٠٧هـ / ٩١٩م حصـلت فتنـة بـين أصـحاب الطعـام والاسـافكة فـي الموصـل احتـرق علـى اثرهـا سـوق الاسـاكفة (٢) ، وشـهد العـام ٣٦٣هـ / ٩٧٢م فتنـة شديدة بين أهل الطعام كان للعيارين دور كبير فيها ولم تهدأ الا بعد أن أخذ جماعة مـــن رؤســـاء العيـــارين وقتلـــوا فهـــدأ الحـــال وســـكن النـــاس (٣) . وفـــي سنـــة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م بنـى اهل الكـرخ سـوراً ليفصـل بيـنهم وبـين القلائـين وبالمقابـل قـام القلائون ببنـاء سور فثارت فتنـة بين الطرفين في يوم عيد الفطر واشتدت حتـى وقـع بينهماالعديد من القتلـى والجرحـى (٤) ، وتجددت الفتنـة بينهمـا سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ممـا ادى الـى تعطـل الاسـواق بسـببها (٥). امـا الفتنـة التـي قامـت فـي بغـداد سـنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م بـين العامـة مـن اهل البصـرة ومـن أهل الكـرخ إذ ادت الـى دمـار

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص١٢٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٦٥ .

(٣) ن . م ، ج٧ ، ص٥١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٤٠ .

(٥) ن . م ، ج٨ ، ص١٤٩ .

وتخريب كبيرين اغلقت الاسواق بسببها [١] . ويصاحب هذه الفتن في معظم الاحيان نهب الاسواق وسرقتها [٢]، لذا كان التجار يهربون ببضائعهم وأموالهم خوفاً عليها من السرقة عند حصول مثل هذه الحوادث ففي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م هرب التجار مع قافلة الحج الى الشام ومصر [٣].

ولم يقف تأثير الفتن عند هذا الحد ، بل كان يصاحبها إحراق الاسواق في الغالب . ففي عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م أحرقت اسواق الموصل من قبل الخوارج الذين خرجوا في بعض نواحيها [٤] ، وكان غرضهم الحصول على الغنيمة واظهار التذمر من السلطة العباسية [٥] . وفي عهد الخليفة المأمون قام بعض المعارضين لخلافته والمؤيدين الى ابراهيم بن المهدي بإحراق سوق العطارين في بغداد والصرافين والفرائين [٦] بسبب سخطهم عليه وتذمرهم منه . وفي خلافة المعتصم أصاب السوق حريقاً بسبب بعض الفتن ، قام على اثره الخليفة بتعويض أصحابه مبلغاً قدره خمسة الاف الف درهم [٧]. وشهد عهد الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣-٩٤٠م) وتحديداً

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٨ .

(٢) ابن العديم ، كمال الدين ابو القاسم عمر ، زبدة حلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، ج١ ، دمشق – ١٩٥١ ، ص٢٥٦ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٣١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص١٨٥ ؛ الجومرد ، ابو جعفر ، ص٢٩٥ .

(٥) فوزي ، فاروق عمر ، تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية الاسلامية ، بغداد – ١٩٨٨، ص٨٢ .

(٦) ابن طيفور ، ابو الفضل احمد بن ابي الطاهر ، كتاب بغداد ، تحقيق : محمد زاهر الكوثري، الكوثري، القاهرة – ١٩٤٩ ، ص٩٨ .

(٧) التنوخي ، القاضي ابو علي المحسن بن علي بن محمد ،نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق :عبود الشالجي، ١٩٧١ ، ج٢ ، ص١٠٢ ؛ سعد ، العامة ، ص١٦١ .

سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م تعرض الكثير من حوانيت سوق الثلاثاء للحرائق التي اشعلها أصحاب ابن رائق [١] وبأمر منه نتيجة مشاحناته مع بعض اهل السوق [٢].

ولم تقتصر الحرائق على الاسواق فقط ، بل كانت تمتد الى ما يجاورها من المحلات والدور ، لانتشار النيران بسرعة في مواد البناء المستخدمة انذاك ولا سيما الاخشاب ، ففي عام ٣٦١هـ / ٩٧١م احترقت اسواق الكرخ وامتدت النيران لتشمل مساكن التجار . وسبب ذلك ان العامة ثارت بعد وصول اخبار غزوا الروم لبعض المدن الحدودية واحراقها ، فتوجه جماعة من اهلها الى بغداد للاستغاثة ، وساندهم اهل بغداد ، فشغبوا واحرقوا الاسواق والدور ، وكانت محلة الكرخ من ضمن ما أحرق [٣] ، وتكرر الامر نفسه سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م [٤] . وفي سنة ٤١٧هـ / ١٠٢٦م كثرت كثرت اللصوص ببغداد بسبب انعكاس سوء الاوضاع السياسية على الحياة الاقتصادية وعجز صاحب الشرطة من القضاء عليهم ، فتدخل الجند البويهيون وهاجموا الكرخ فنهبوه وأحرقوا الأسواق وصادروا أموال التجار [٥].

ولابد من التنويه الى ان بعض الفتن كانت تقوم في الاسواق جراء بعض المشاكل التي تحدث داخل مجتمع الدولة العربية الاسلامية آنذاك ، بسبب تعدد الملل فيه كالنصارى مثلاً .

---

(١) ابن رائق : محمد بن رائق الخزري ويسمى ايضا رائق الكبير ، يكنى ابو بكر ، احد مشاهير القواد والاتراك ، تقلد منصب شرطة بغداد ثم تقلد اعمال واسط والبصرة ثم الحجابة ، ومنصب امير الامراء سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م قتل سنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م . الطبري ، تاريخ ، ج١٠ ، ص١٢٥-١٢٧ ؛ الدوري ، امرة الامراء ، ص٧١ .

(٢) الصولي ، اخبار الراضي ، ص١٠٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٤٥ .

(٤) ن ، م ، ج٧ ، ص٤٩ .

(٥) الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ط١ ، حيدر اباد الدكن – ١٣٦٤هـ ، ص١٨١ .

ففي سنة ٢٨٤هـ / ٧٩٨م ثار العامة وشاركهم أهل السوق مطالبين بدم ذمي تطاول في كلامه على اكرم الرسل واشرف البشر (ﷺ) (١).

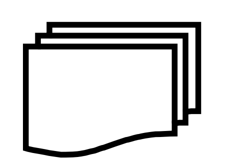
ومن الاحداث الهمة التي شارك فيها اهل السوق بقوة ، مسالة خلق القران ، التي ابتدأها الخليفة المأمون وآستمرت في عهدي الخليفتين المعتصم والواثق حتى الغاها الخليفة المتوكل ، وتعرض فيها العديد من علماء الامة الى الامتحان بها ، ومنهم الامام احمد بن حنبل (٢) الذي تعرض بسببها الى الاذى الشديد ، وهنا وقف الناس ومن بينهم أهل السوق معه وتحمسوا لموقفه ، ولم يكتفوا بغلق دكاكينهم ، بل حملوا السلاح دفاعاً عنه ، واعلاناً لأحتجاجهم (٣).

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج١٠ ، ص٢٥ .

(٢) احمد بن حنبل : ابو عبد الله ، ولد سنة ١٦٤هـ / ٧٨٠م ، امتحن في مسألة خلق القرآن فكان صبوراً ، توفي سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م . الاصبهاني ، حلية الاولياء ، مج٩ ، ص١٦١ ؛ امين ، ضحى الاسلام ، ج٣ ، القاهرة – لا.ت ، ص١٦٥ .

(٣) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، مج٩ ، ص٢٠٤ .



٣. حركة الشطار والعيارين واثرهم في السوق

وجد الشطار والعيارون في مختلف انحاء الدولة ، وان اختلفت تسمياتهم تبعاً للظروف التي أوجدتهم ، وان مثل هؤلاء لايظهرون الا في حقب تاريخية حرجة ، هي تلك التي تزامن مرحلتي التصدع والتفكك السياسي (١).

وبما ان لكل ظاهرة بوادر تاريخية أقدم ، فإننا اذا تجاوزنا الصعاليك في عصر ما قبل الاسلام ، نستطيع ان نضع ايدينا على بوادر هذه الظاهرة من رواية احد المؤرخين إذ يقول : ((**فلما كثر الصعاليك والزعار – العيارون – وانتشروا بالجبل في خلافة المهدي ...**)) (٢).

وهذا يعني أن النواة الاولى لحركة الشطار والعيارين بدأت بالتشكل منذ عهد الخليفة العباسي المهدي ، اذ لم يكن لهم آنذاك دور واضح ومؤثر في المجتمع لانهم لم ينضموا أنفسهم بعد على شكل حركة محددة كما حدث لاحقاً .

كان ظهورهم الاول على مسرح الاحداث السياسي في عهد الخليفة الامين ، وتحديداً في فترة الصراع بينه وبين اخيه المأمون على الخلافة ، عام ١٩٤-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣م ، حين شاركوا في هذا الصراع مشاركة قوية وحاولوا الوقوف الى جانب الحق ونصرة المظلوم ، ويمكن ان نتلمس من خلال هذه المشاركة بعض صفاتهم واخلاقهم العالية ، إذ دخلوا بكل ثقلهم الى جانب الخليفة الامين بتنظيمهم العسكري ، ودافعوا عن مدينتهم الحبيبة بغداد والمحاصرة من قبل جيش المأمون (٣).

وكان العيارون والشطار يمثلون التيار الشعبي المتدفق حيوية ونشاطاً أيام المحن والنكبات ، فكانوا دائماً من ضمن المدافعين الصامدين يقاتلون العدو المهاجم

---

(١) النجار ، محمد رجب ، حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي ، الكويت – ١٩٨١ ، ص١٩.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٠٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص٨٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٣٩٤ .

على مدينتهم الخالدة بغداد [١] . اما ظهورهم السياسي – العسكري الثاني فكان في سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م ، في أثناء الفتنة بين الخليفة المستعين والاتراك واللذان كانا يمثلان تيارين متصارعين الاول التيار الرسمي الذي تمثله مؤسسة الخلافة وعلى رأسها انذاك الخليفة المستعين ، والتيار الأخر هو المؤسسة العسكرية التركية التي كانت تحاول انتزاع النفوذ والسلطة ، هنا اخذوا على عاتقهم مهمة المشاركة في الدفاع عن بغداد ، فاستعان الخليفة المستعين بهم لانه لم يجد اكثر نشاطاً واعلى همة وامضى صبراً منهم [٢] . فكان موقفهم موقفاً نبيلاً بدافع الحمية والشهامة حين دافعوا عن بغداد دفاع الابطال ، ومع ان تحركهم كان ذا طابع شعبي الأ انه كان يتميز بالثقة والشجاعة [٣] .

ولقد قدر للشطار والعيارين أن يلعبوا دوراً مهماً في تاريخ الدولة العربية الاسلامية إذ عاشوا في صراع مع مجتمعهم بسبب سوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ولم يستسلموا لواقعه المرير الذي ظلمهم ، الذي كان سبباً في ظهورهم، تلك الواقع الرافض لنفوذ وتسلط الاجانب ، أياً كانوا سواء من الفرس أو الترك أو الديلم وغيرهم من شذاذ الارض ، الذين عاثوا فساداً في الدولة ، لاهَّم لهم الا تحقيق مصالحهم الذاتية الضيقة على حساب مصلحة الدولة العليا وجمع الاموال ، فادت سياستهم هذه الى تخريب الاقتصاد وانتشار الغلاء وغلبة الفقر ، وكان الحكام غافلين عن مصالح العباد ومنهمكين في الملذات [٤].

وان ضيق عامة الناس كان يتزايد من بطش وظلم وسيطرة هؤلاء الاجانب المتطفلين ، وبدأوا ييأسون من ضعقف الخلفاء وعجزهم ، وما يحاك من مؤامرات ودسائس فغدت بغداد مرتعاً للفوضى والاضطرابات والفتن ، وبطبيعة الحال كان

---

(١) امين ، حسين ، العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد ، ط١ ، بغداد – ١٩٦٣ ، ص١٠ .
(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٢ ؛ القيسي ، الحرف ، ج٤٧ ، ص١٣٧ .
(٣) الدوري ، عبد العزيز ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بلا – ١٩٤٥ ، ص٨ .
(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٤٥٦ ؛ النجار ، الشطار ، ص٧٩ .

بسطاء الناس هم أول من يدفع ثمن هذه الاوضاع السياسية والاقتصادية المتردية [١] .رافق هذا تمايزاً طبقياً وتبايناً اقتصادياً كبيراً ، إذ عاش عليه القوم والمتنفذون من الولاة وقواد الجند والامراء والاثرياء في اقصى درجات الغنى على حين عاش عامة الشعب من الفقراء والمعدمين واصحاب الحرف البسيطة باقصى درجات الحرمان [٢] ، وفعل التطور الاقتصادي والاجتماعي فعله الذي نتج من انتقال المجتمع من طور زراعي الى طور تجاري حرفي وبدأت تظهر آثاره السلبيه، إذ تكدست الاموال عند فئة قليلة ومحددة من الناس [٣]، مما خلق تمايزاً مادياً واضحاً ، ومن هذه الاسباب يمكن ان نتلمس اهداف الشطار والعيارين التحرر من حكم اجنبي متسلط والتحرر من ظلم اجتماعي قاسٍ [٤].

وتميز العيارون والشطار بنوعين من التنظيم ، الاول تنظيم عسكري ، إذ جعلوا انفسهم على شكل مجاميع مدربة على القتال . فلكل عشرة عرفاء نقيب ، ولكل عشر نقباء قائد [٥] ، ولكل عشرة قواد امير [٦]. ومن القاب رؤسائهم الاخرى المتقدم [٧]ايضاً ايضاً .واتخذوا زياً خاصاً بهم ، كلبس الخوذ المصنوعة من الخوص والدروع المحشوه بالجص والرمل . اما تنظيمهم الأخر فهو مدني وينقسم هو الاخر

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٤٥٦ ؛ النجار ، الشطار ، ص٨٦ .

(٢) النجار ، الشطار ، ص٨٦ .

(٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص٣٥ ؛ الكبيسي ، اسواق بغداد ، ص٣٧٣ .

(٤) ينظر : النجار ، الشطار ، ص٣٩٠ .

(٥) سبط ابن الجوزي ، شمس اليدن ابو المظفر يوسف ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، تحقيق : جنان جليل محمد الهموندي ، بغداد – ١٩٩٠ ، ص٤٠٦ .

(٦) مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص٣٠٦ .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٤٩ .

الى رتب عدة ، وجرى عرفهم ان لايدخل عنصر جديد الى تنظيمهم الا بعد القيام بمراسيم معينة [١]، وفي تنظيماتهم هذه نجد تشابه بينهم وبين تنظيم الاصناف ولا سيما ان كثيراً من أهل الحرف والباعة انضموا الى الحركة [٢].

ولم تقف مشاركات العيارين على الاصعدة الشعبية فقط بل تعدتها الى ابعد من ذلك ، فنراهم يتصدون للاجانب المحتلين لمقدرات الدولة . إذ شاركوا الناس جهادهم ضد الغزاة المحتلية ، ففي سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م شاركوا الناس ثورتهم ضد بعض الجند السلاجقة الذين قتلوا احد البسطاء من الناس برمية بالنبال ، فثارت العامة ضدهم وبضمنهم العيارين [٣] .

ويمكننا ان نتلمس من خلال أخبارهم ونشاطهم ما يحملون من مبادئ وصفات انسانية نبيلة من نصرة المظلومين وأخذ ما يعدونه حق من حقوقهم ممن ظلمهم . إذ كان احد قادتهم المعروفين ، وهو اسود الزبد ، سمي كذلك لانه يأوي الى قنطرة الزبد وكان يكرم غاية الاكرام وفادة من يحضر اليه [٤].

لقد اوجدت أوجه شبه كثيرة بين تنظيم العيارين وبين تنظيم الفتوة [٥]، حتى انهم انهم كانوا ((**يسمون طريقهم الفتوة وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب**)) [٦]. وكانت أهم مبادئهم ((**أن الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امراة**)) [٧]، كما كانوا شديدي الرفق بالفقراء والضعفاء

---

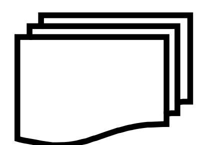
(١) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، بيروت – ١٩٧٨ ، ص٣٩ ؛ مصطفى ، شاكر ، المدن في الاسلام ، ج٢ ، الكويت – ١٩٨٨ ، ص٢١ .
(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٤٤٨ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص١٧٣ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٥١ .
(٤) الهمداني ، محمد بن عبد الملك ، تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق : البرت يوسف كنعان ، ج١ ج١ ، ط١، بيروت – ١٩٥٩ ، ص٢١٧ .
(٥) الفتوة : في اللغة السخاء والكرم ، واصطلاحاً : ان تؤثر الخلق على نفسك في الدنيا والاخرة . . الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص٢١٢ .
(٦) ابن الجوزي ، نقد العلم والعلماء ، مصر – لا.ت ، ص٣٧٨ .
(٧) ن . م ، ص٣٣٧٨ .

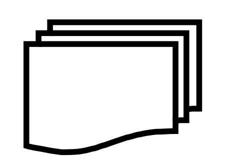
لا يتعرضون الى امراة او أي شخص يستسلم لهم [١]، واتصفوا بالصبر على احتمال الاذى [٢] ، ومن اشهر العيارين البرجمي العيار الذي استبد ببغداد سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م ولمدة اربع سنوات وبلغ عجز السلطة تجاهه أن العامة ثاروا بالخطيب في صلاة الجمعة وطالبوه ان يخطب للبرجمي او لايخطب لغيره ، وتعهد البرجمي بحفظ الأمن وكان يجبي الضرائب من الاسواق ولا يتعرض لمن يستلم له [٣]، وركز العيارون العيارون هجاماتهم على بيوت الاغنياء وكبار التجار بغية الحصول على الاموال وتوزيعها على الفقراء [٤].

وكان الشطار والعيارون نتاجاً لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية قاسية ، الا ان انهيار الاوضاع جعل الكثير من العاطلين والمخربين والشقاة الذين اتسموا بطبائع هي عكس ما اتسم بها الشطار والعيارين ينخرطون في صفوفهم الامر الذي ادى الى ان تصطبغ هذه الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان . إذ استغلت هذه العناصر الدخيلة مبادئهم النبيلة لمصالحهم الشخصية ، فنهبوا ودمروا الامر الذي ادى الى انتشار الفوضى والفساد والصاق السوء بالشطار والعيارين ، ففي عهد الخليفة المقتدر ونتيجة لما روج عن الشطار والعيارين من صفات ، ساد الفزع ببغداد على اثر تحرك القرامطة ، مما اضطر أصحاب الاسواق الى غلق اسواقهم ونقل بضائعهم الى المنازل [٥]. وتفاقم امرهم سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م فأحرقوا سوق الخشابين والجزارين وأصحاب الحصر ، وفقدت الدولة السيطرة على زمام الامور[٦] .وفي سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م لم تسلم الاسواق من ايديهم ، فجبوا الاسواق ولم تستطع الشرطة فعل شيء [٧]. [٧]. وفي سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م نهبوا مخازن التجار ودور الاغنياء [٨] .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٢١٣ ؛ امين ، تاريخ العراق ، ص٣٧٨ .
(٢) ابن الجوزي ، نقد العلم والعلماء ، ص٣٧٨ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٢١٣ .
(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٤٧ ؛ امين ، تاريخ العراق ، ص٣٣ .
(٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص١٨٠ .
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٧٤ .
(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٣١٢ .
(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٧٤ .





١. مشاركة أهل السوق في الاعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية

كان لأهل السوق دو اجتماعي بالغ الاهمية والاثر في الحياة العامة . إذ شاركوا الآخرين في المناسبات المختلفة الدينية والاجتماعية بصفتهم المهنية معبرين من خلالها عن مشاعرهم ومظهرين بالوقت نفسه ابداعاتهم وتفننهم كل صنف على وفق صنفه اعتزازاً منهم بمنهم (١). ورافق عملهم التجاري انماطاً جميلة من العادات والتقاليد في الاحتفال بالمناسبات المختلفة ، ولاسيما الدينية منها ، بعدها تشكل صوراً حية ناطقة للحياة الاجتماعية والفكرية السائدة آنذاك (٢).

ففي الاعياد ، كان لأهل السوق دور اجتماعي جميل جداً ،إذ كانوا يستعدون لقدومها افضل استعداد لما للاعياد من ارتباط وثيق بعقيدتهم ومشاعرهم الدينية . فعند حلول عيد الفطر المبارك ، كانوا يعمدون الى تزيين اسواقهم بانواع الزينة وتتلألأ فيها انوار الشموع التي تنيرها وتنير بغداد بأجمعها ، وتزدحم الاسواق بالناس كل ينوي شراء حاجته من الاشياء الجديدة كالملابس والمأكل والمشرب التي يهيؤها أهل السوق بهذه المناسبة (٣).

وعندما يحل العيد ، ويخرج الخليفة لاداء فريضة صلاة العيد ، يخرج الناس لمرافقة عند مسيره للمسجد الجامع ليؤدوا الصلاة معه ومنهم أعداد كبيرة من أهل السوق(٤) ، الذين يعبرون بهذا عن حبهم واحترامهم للخليفة بعده إمام الأمة والمسلمين . ومن ناحية أخرى ، كانوا يعمدون الى تزيين أسواقهم بأبدع أنواع الزينة من الاقمشة الحريرية ذات الالوان الزاهية ، ويستقبلونه بالهتافات والتهاليل وهم ينادون بالسلام على

---

(١) الشيخلي ، الاصناف ، ص١٥٩ .

(٢) زيادة ، نقولا ، الحسبة والمحتسب ، بيروت – ١٩٦٢ ، ص٢٠ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٤٢٩ .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٢٠٧ .

امير المؤمنين ونور الاسلام ، والخليفة يرد عليهم التحية بلثم أطراف بردته والتلويح بها .[1]

ولم يكتف أهل السوق بمشاركة الخلفاء في صلاة العيد ، بل شاركوهم في اداء صلاة الجمعة وخطبتها . إذ جرت عادة الخلفاء المرور من خلال السوق عند الذهاب الى الجامع ، وبهذه المناسبة كان أهل الاسواق يحتفلون على طريقتهم الخاصة ، فيزينوا دكاكينهم ويملأونها باواني الذهب والفضة وكل شيء ثمين لديهم ، ثم يرافقونه لاداء فريضة الصلاة [2] . ويبدو ان إبرز الاشياء الثمينة والنفيسة من أهل السوق في مثل هذه المناسبات ، يعد أحد وسائل الاعلان المستخدمة آنذاك لترويج بضائعهم وبيعها لعلية القوم لاسيما الخلفاء الذين يشترونها بأثمان طائلة .

ومن عادات وتقاليد أهل السوق ما كانوا يحدثونه في عيد نوروز إذ شكل مناسبة دينية واجتماعية يحتفل بها المسلمين وحتى أهل الذمة أزهى أحتفال . ومن تقاليد هذا الاحتفال رش الماء على المارة بما فيهم الجند والشرطة ، مما ادى الى اصدار الخلافة امراً بالغائها وذلك عام (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) فنودي بالسوق بذلك ، ولكن سبب كونها من التقاليد القديمة التي تعود الناس عليها ، فقد عاودوها فيما بعد[3] .

اما مواسم الحج ، فكان لها نكهة خاصة واحتفالية رائعة يؤديها أهل الاسواق ففي هذه المناسبة السعيدة ، تلبس الاسواق حلة قشيبة ، من خلال مختلف مظاهر الزينة التي يزين بها أهل السوق أسواقهم ومحلاتهم التجارية وحتى الشوارع المحيطة بهم ، استقبالاً للحجاج وتوديعاً [4]. فكانوا يهيأون المواكب لاستقبال الحجيج[1] ويضربون لهم القباب ، ويلبسون الحلي والثياب الثمينة ويظهرون الفرح والسرور [2].

---

(١) التطيلي، بنيامين بن يونه،رحلة بنيامين ، ترجمة :عزرا حداد ، بغداد – ١٩٤٥،ص١٣٤.

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج١٠ ، ص٥٣ ؛ مصطفى ، المدن ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢ .

ولا ننسى ان هذا النوع من الترحيب والحفاوة بالحجاج واظهار معالم الفرح والسرور وعرض الاجود من بضائعهم كان احد الاساليب المعروفة –ولحد الان – في استمالة الناس بما فيهم الحجاج للشراء والتبضع منهم عن طريق الترويج والاعلان المسبق بهذه الطريقة الذكية .

ولشهر رمضان المبارك نصيب وافر من مشاركة أهل السوق في الاحتفال به شأنهم شأن الاخرين لما فيه الكثير من الممارسات الحسنة والعبادات الجليلة والحسنات المضاعفة . من هنا كان أهل السوق يستعدون له بشكل مميز من خلال مشاركتهم الناس في مراقبة الهلال آخر شهر شعبان للتثبت من الرؤية وحالما تثبت، يتحول السوق الى ما يشبه النهار لكثرة الشموع التي يوقدونها (٣) ابتهاجاً بمقدمه ، واحتفاءً ببركته ، ويكثر الجميع – كما هو المعتاد – من أعمال الخير والبر ابتغاء مرضاة الله وثوابه (٤).

ففي شهر رمضان من سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م أمر الوزير فخر الملك (٥) بإخراج المسجونين من المدينين ذوي الديون القليلة ، أما من كانت ديونه ثقيلة ، فيكفله الى بعد العيد ، لينعموا بالعيد بين ديونهم وعوائلهم ، فكان أهل السوق يقدرون مثل هذه الاعمال ويدعون لاصحابها باسواقهم (٦) .

---

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٨ ، ص٣٤٥ .

(٢) عريب ، صلة ، مج١١ ، ص١٣٥ .

(٣) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، الخطط المقريزية ، ج١ ، بغداد – ١٩٧٠ ، ص٤٣٢ ، ج٢ ، ص٢٨١ ؛ مصطفى ، المدن ، ج٢ ، ص١٢٧.

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٨٦ .

(٥) الوزير فخر الملك : ابو غالب ، محمد بن علي بن خلف ، الملقب فخر الملك ، من أهل واسط ، وزير بهاء الدولة ، كان ابوه صيرفياً ، فتنقلت به الاحوال الى خدمة بهاء الدولة ابن عضد الدولة ، توفي سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٨٦ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٥٦ ؛ الرحيم ، عبد الحسين مهدي ، الخدمات العامة في بغداد ، ط١ ، بغداد – ١٩٨٠ ، ص٢٥٨ ؛ مصطفى ، المدن ، ج٢ ، ص١٢٧ .

وسرعان ما تختفي معالم الزينة والسرور ، بقدوم شهر محرم الحرام ولاسيما يوم العاشر منه ، لما يثيره من مواجع واحزان تكمن في خلجاتهم ، فهو يوم استشهاد ابن بنت الرسول الكريم (ﷺ) ، الامام الحسين بن علي (عليه السلام) ، فلأهل السوق نصيب وافر من المشاركة في هذا اليوم ، فتغلق الاسواق ، وتنصب القباب ، ويعطل البيع [١] . لكن الدولة في بعض السنين ، ولاسيما في حالة حدوث تذمر او عصيان ، كانت تمنع مشاركاتهم هذه تحسباً من أي طارئ كما حدث سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م حينما منع الوزير ابو الحسن الكوكبي [٢] أهل السوق من اداء ما تعودوا عليه بهذه المناسبة [٣]. وتكرر هذا العمل في سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م عندما منع عميد الجيوش ابو علي بن ابي جعفر أهل الكرخ من المشاركة في هذه المناسبة[٤] ،اما في البصرة ، فقد كان أهل السوق يغلقون اسواقهم ، وينصبون القباب لمناسبة مقتل مصعب بن الزبير بن العوام [٥] ،لكن في سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م منعت الدولة أهل السوق من إقامة شعائرهم شعائرهم [٦]بهذه المناسبة ، ويتضح ان سبب المنع هو التخوف والحذر من اثارة الناس الناس ، ولاسيما بين أهل السوق .

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص١٥ .

(٢) ابو الحسن الكوكبي :علي بن محمد بن المعلم الكوكبي ، وزير الخليفة القادر بالله ، يُعرف بابن المعلم ، توفي سنة ٣٨٢هـ / ٩٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١٥٩ ، هامش (٢) .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١٥٩ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٢٢ .

(٥) مصعب بن الزبير :بن العوام القرشي الاسدي ، فارساً ، حارب المختار وقتله ، امه الربابه بنت انيف الكلبية ، تزوج من عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين (عليه السلام) ، قتل سنة ٧٢هـ / ٦٩١م . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٤ ، ص١٤٠ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٢٢ .

وجرت عـأدة النـاس فـي المناسـبات والاعيـاد الدينيـة ، زيـارة قبـور الاوليـاء الصـالحين ، وقبور موتـاهم ، وشـارك المسلمون فـي هذا التقليد أهل الذمـة من اليهـود والنصـارى ، لتعايشـهم مـع المسـلمين فـي مجتمـع الدولـة العربيـة الاسـلامية وتأثـرهم بعاداتهم ، فكان أهل السوق يفتحون أسواقهم ليلاً وتدق الطبول وتعزف الابواق(١).

اما مشاركة أهل السوق في المناسبات الاجتماعية ، فهي كثيرة وتعطي موشراً جميلاً علـى مـدى تكـاتف ابنـاء المجتمـع وتفـاعلهم ازاء الاحـداث بغـض النظـر عـن مستوياتهم الاجتماعية . ومن ناحية اخرى ، فهذه المشاركة ترسم صـورة نابضـة بالحياة للعديد مـن مظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة السـائدة انـذاك وانمـاط عـاداتهم فـي التعبيـر عـن الاحتفال بها ، وكل هذه توضـح بدقة طبيعة الحياة الاجتماعيـة العربية الاسلامية في العصـور الاسـلامية الوسيطة . فأهل الاسواق واحدة من أكبر واهم شرائح المجتمـع ، التـي كـان لهـا مشـاركات فـي المناسـبات الاجتماعيـة السـعيدة ولا سـيما انهـا كانـت ذات نتـائج ايجابيـة لصـالحهم ، مـن خـلال انعكاسـاتها الجيـدة علـى حركـة السـوق وزيـادة انتاجهم وكثرة البيع (٢) .

فعلى مستوى المناسبات الخاصـة بالخلفـاء واولـي الشأن من كبار رجال الدولـة، نجد مشاركة اهل السوق جلية في هذا المجال ، ولاسيما إذا كانت المناسبة خاصة بيت الخليفـة كـالزواج والختـان وغيرهـا مـن المناسـبات . ففـي سـنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م تـزوج الخليفـة المقتـدي بـالله (٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٤- ١٠٩٤م) من خـاتون ابنـة السـلطان

---

(١) ن ،م ، ج٧ ، ص١٦ ؛ السامر ، فيصل ، ابن الاثير ، بغداد – ١٩٨٣ ، ص١٣٥ .
(٢) الزركاني ، السمات العامة للوضع الاقتصادي في العراق ما بين ٣٣٤ – ٥٥٥هـ / ٩٤٥ – ١١٦٠م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد – ١٩٩٩ ، ص٥٩ .

ملكشاه السلجوقي[١] ، فعمد أهل السوق الى تزيين اسواقهم واوقدوا الشموع فيها معبرين من خلالها عن فرحتهم ومشاركتهم الخليفة في هذه المناسبة السعيدة [٢].

اما عند ولادة ولي عهد جديد ، فلأهل السوق مشاركة كبيرة بها يعبرون من خلالها عن فرحتهم بهذه المناسبة ، فيزينون اسواقهم كل على وفق مهنته ، فيعلق الصيارفة اواني الفضة والذهب ، ويعرض باعة الكافور تماثيل مصنوعة من الكافور ، ويأتي الطحانون بارحاء تطحن ، وهذا ما حصل عندما رزق الخليفة المقتدي عام ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م بولي عهده [٣].

ومما يدل على شدة التلاحم والتماسك بين الخليفة وشعبه وعلى مدى تعلق الرعية بما فيهم أهل السوق من الصناع والفعلة والتجار بخليفتهم ، مشاركاتهم في المناسبات الحزينة ، اذ لم تقتصر مشاركة أهل السوق على المناسبات المفرحة فقط، بل تظهر واضحة جلية من خلال مظاهر الحزن والالم التي تكون ملفته للنظر اذ ما حصلت فاجعة في قصر الخلافة . فبوفاة خليفة أو سلطان ما ، تغلق الاسواق وتعلق الاقمشة السوداء على جدران المحلات ، وتنتشر مظاهر الحزن بينهم ، كما بين بقية الناس، ويتوافدون على البلاط لتقديم العزاء لولي العهد او الوزير وكبار رجال الدولة الذين يجلسون في صحن القصر لتقبل العزاء [٤]. فعند وفاة عضد الدولة البويهي سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م ، اقيمت له مجالس العزاء في اماكن عدة ومنها الاسواق ولأيام عدة [٥]، وبوفاة الخليفة القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣٠-

---

(١) السلطان ملكشاه : السلطان الكبير جلال الدولة ابو الفتح بن السلطان الب ارسلان ، ملك بعد ابيه ، ودبر دولته ، كان حسن السيرة ، اهتم باشاعة الامن والنظام وتعمير بغداد ، توفي عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٥٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٤٥١ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٣٨ .

(٤) ن ، م ، ج٥ ، ص٤٨ .

(٥) ن . م ، ج٥ ، ص٤٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١٢٣ ؛ هامش (٣) .

١٠٧٠م) اغلقت الاسواق حزناً عليه [١] ، وفي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م اقام الناس العزاء واغلقت الاسواق لوصول خبر وفاة البارسلان السلجوقي [٢] الى بغداد [٣] ، وكذلك عند وصول خبر وفاة الامير احمد بن السلطان ملكشاه سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م من مرو إذ كان ولي عهد ابيه في السلطنة ، فخرجت النسوة ينحن عليه في الاسواق التي سودت محلاتها وجدرانها تعبيراً عن حزنهم عليه[٤] ، وعند وفاة داود ولد السلطان جلال الدولة باصفهان سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، أقام الناس المآتم عليه في المنازل والاسواق لمدة سبعة أيام [٥] .

كما كانت معالم الحزن تسود الاسواق عند وفاة إحدى الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في حياة الناس ، كالعلماء والزهاد ، لما يتركه هؤلاء من آثار حميدة واخلاق سامية مستقاة من روح ومباديء الاسلام ، فتؤثر بشكل كبير في قلوب العامة ولاسيما أهل الاسواق منهم ، فكانوا يغلقون أسواقهم ويعلنون الحداد معبرين عن حزنهم ولوعتهم ، فمن هذه المشاركات ما حدث في سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م عند وفاة الزاهد الجليل احمد بن محمد [٦] إذ اغلقت الاسواق حزناً عليه ، كما اغلق أهل السوق اسواقهم حداداً على

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٩٥ ؛ الاطرقجي ، الحياة الاجتماعية ، ص٢٩١ .

(٢) الب ارسلان : حاكم خراسان والعراق والموصل واصفهان وتبريز ، قتل سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٠٦ ؛ فردريك ، محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : احسان حقي ، بيروت – لا.ت ، ص٦٦ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٠٦ .

(٤)ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٨ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٣٣٠ .

(٦) احمد بن محمد : بن غالب البصري الزاهد المعروف ، سكنبغداد ، كان فصيحاً عالماً ، توفي سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م دفن في البصرة .الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٥، ص ٨٠ .

وفاة الزاهدين ابو الحسن الحربي [١] ، وابو بكر المروزي [٢]. اما من العلماء الذين اغلقت الاسواق حداداً على وفاتهم ،الفقيه الكبير الاسفرايني [٣] ، كذلك العلامة الكبير ابو يعلى الفراء [٤] ، كما اغلقت الاسواق عند وفاة امام الحرمين عبد الله بن يوسف الجويني [٥]معبرين بذلك عن حزنهم ومعلنين حدادهم [٦].

ومن ناحية أخرى كان أهل السوق يظهرون معالم البهجة والسرور عندما تقوم الدولة بواجب في مجال الخدمات العامة التي يفيد منها الناس . وهذا ما حصل سنة ٤٨٨هـ / ١٠٥٩م عند بناء سور الحريم اذ تسابق أهل المهن في تسيير مواكبهم

---

(١) ابو الحسن الحربي : علي بن عمر بن الحسن المعروف بابن القزويني ، ولد سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م في محلة الحربية ببغداد ، كان زاهداً معروفاً ، توفي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٥٠م . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص٤٠٦ .

(٢) ابن بكر المروزي : احمد بن محمد الحجاج المروزي ، صاحب الامام احود بن حنبل ، اشتهر بالذكاء ، رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ، توفي سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٥٤ .

(٣) الاسفرايني : احمد بن محمد بن احمد ، ابو حامد الفقيه الاسفرايني ، درس فقه الامام الشافعي ، ولد سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ، واقام ببغداد ، انشغل بالعلم حتى صار اوحد وقته وانتهت اليه الرياسة وعظم جاهه عند الخلفاء والعوام ، توفي سنة ٤١٠هـ / ١٠١٩م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص٣٦٨ .

(٤) الفراء : ابو يعلى بن محمد بن خلف الفراء ، ولد سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، له مصنفات تفرد بها بها ، كان اماماً في الفقه ، توفي سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٤٤.

(٥) الجويني : عبد الله بن ابي يعقوب بن يوسف الجويني ، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين المعروف بأمام الحرمين ، ولد سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص١٦٧ .

(٦) الموصلي : ياسين خير الله العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، بغداد بغداد – ١٩٦٨ ، ص٢٦٧ .

التي تظهر تفننهم في صنائعهم وكلُ على وفق مهنته ، فمنهم من جاء بناعور وآخر بقلعة وهناك من سير نموذجاً لبئر يسير على عجل ، وحتى الخبازين حمل موكبهم تنور فكانوا يخبزون في أثناء مسيره ويوزعون الخبز على الناس [1] فرحاً وابتهاجاً .

اما اذا كان البناء يخص السوق ، فان فرح أهله وبهجتهم كانت كبيرة ولا توصف ، إذ جرت عادة أهل الاسواق الى بناء الاسوار اما لغرض توفير الحماية لهم من المحال المجاورة ، او لغرض التنافس فيما بينهم .

فقد حدث عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م أن قام أهل الكرخ ببناء سور يحول بينهم وبين القلائين الذين قاموا بدورهم ببناء سور ايضاً ، فارتدى الطرفان أجمل ملابسهم وأحضروا الطبول والمزامير ، واستمرت مظاهر الفرح والزينة حتى انتهوا من بناء السورين [2] .

كما درجت عادة أهل السوق على مشاركة الاهالي بهجتهم عند افتتاح أحد المشاريع الخدمية ذات المنفعة العامة . ففي عام ٤٨١هـ / ١٠٨٨م شرع أهل باب البصرة ببناء قنطرة جديدة ، وتعبيراً عن فرحتهم ، نقل أهل السوق منهم الآجر في اطباق الذهب والفضة وكانت الابواق والطبول تضرب طوال الوقت [3].

وان مظاهر احتفالية أهل السوق بالقضايا العامة ، كثيرة ومتنوعة ، منها تلك التي يبدونها عند قدوم رجال الدولة او ولاة الاقاليم[4] او الامراء الى العاصمة، عندها يعمدون الى تزيين الاسواق [5] تعبيراً عن فرحهم،ثم يطوفون بالقادمين فيها[6].

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٨٥.
(٢) ن ، م ، ج٨ ، ص١٤١ ؛ فهد ، بدري محمد ، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، بغداد -١٩٦٧ ، ص٢١٠
(٣) ن ، م ، ج٩ ، ص٤٣ .
(٤) ابن القلانسي ، ابو يعلي حمزة ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت - ١٩٠٨ ، ص٥٢ .
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص١٢٠ .
(٦) ن ، م ، ج٨ ، ص٤٧ .

فعند مقدم عميد الجيوش عام ٣٩٢هـ / ١٠٠١م زينت الاسواق بالقباب الجميلة والاواني الذهبية والفضية ، واشعلوا مجامر البخور ، وأظهروا الثياب والفرش الفاخرة [١] . وحدث في العام ٣٧٠هـ /٩٧٩م ان خرج الخليفة الطائع (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٣ – ٩٩٨م) لاستقبال عضد الدولة ، فزينت الاسواق وضربت له القباب ابتهاجاً بمقدمه [٢]. وفي سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م ، تكاتف أهل السوق وتضامنوا على أظهار مهارتهم وبراعتهم الصناعية ، وابراز حرفهم ذلك في الاستقبال الكبير الذي اقاموه للشيخ ابي اسحق الشيرازي [٣] ، ومن خلاله عبر أهل السوق عن ابتهاجهم الكبير به كل على طريقته ، فكان الخبازون مثلاً يوزعون الخبز على الناس كذلك اصحاب الفاكهة والحلوى [٤].

هذه الانماط من الافراح والبهجة من قبل أهل السوق كانت تزداد عند قدوم الوفود الاجنبية للعاصمة ، اذ لم يتركوا لوناً من الوان الفرح والزينة الا وعملوه لابراز مشاركتهم هذه بالمظهر اللائق ، ولاظهار أسواقهم بالمظهر الحسن ايضا أمام هؤلاء الغرباء . وهذا ما حصل عام ٣٠٥هـ / ٩١٧م عند ورود رسل ملك الروم الى بغداد ، إذ شارك أهل السوق الآخرين بهذه المناسبة من خلال تزيين الاسواق بأفضل الزينة ، وايقاد الشموع الكثيرة واظهار البهجة والسرور وخاصة مع تجمع الناس في اسواقهم بهذه المناسبة [٥].

---

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص٢٦٥ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص١٥٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٢٩٧ .

(٣) ابو اسحاق الشيرازي :ابراهيم بن علي بن يوسف ، شيخ الاسلام ، شاعراً ، زاهداً ، عالماً ، تلمذ على يديه طلاب من مشرق الدولة ومغربها ، ولد سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م ، وتوفي سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٧م . الشيرازي ، ابراهيم بن علي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق : خليل الميس ، بيروت – لا.ت ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٢٩ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٠٠ .

وان المتصفح لجوانب التاريخ ، يلمس بوضوح اهتمام الخلفاء بالاسواق ، وذلك بعدها واحدة من اهم علامات النشاط الاقتصادي ومصادر الاموال للدولة ، فضلا عن كونها واجهة حضارية للمجتمع انذاك سواء في تنظيمها أو من خلال ما يقوم به أهل السوق في المناسبات . لذا شجع الخلفاء التجارة والتجار وانفقوا الكثير من الاموال لتطوير العمل التجاري من خلال تنظيمه ، وهذا ما اكده الخلفاء العباسيون ومنذ عهد الخليفة ابي جعفر المنصور [١].

وبالاضافة الى ذلك أهتم الخلفاء العباسيون بمراقبة الاسواق بانفسهم . إذ عُرف عن الخليفة هارون الرشيد تخفيه بزي التجار وتجوله في الاسواق لكشف الغش فيه [٢] ، كما اهتم بحراسة الطرق لتأمين القوافل التجارية بما تحمله من رؤوس اموال ضخمة مع حماية سالكيها [٣]، فأصبحت بغداد في عهده مركزاً تجارياً عظيماً وسوقاً رائجة تتوفر فيها البضائع من كل الانحاء [٤]. ومنح الخليفة المأمون الكثير من اهتمامه لأهل السوق ، وحرص في الوقت نفسه على التاكيد بأن لايتعدوا على حقوق ضعفاء الناس [٥]وان لا يتجاوز احد على حقوقهم حتى لو كان من اتباعه [٦] .

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٩-٨٠ ؛ حمادة ، محمد ماهر ، الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الاول ، ط١ ، بيروت – ١٩٧٩ ، ص ١١٥.

(٢) الاتليدي ، محمد ، اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، مصر – ١٣٥٦هـ ، ص٩٦ ؛ المدور ، حضارة الاسلام ، ص٩٩،١٠٧ .

(٣) الاتليدي ، اعلام الناس ، ص٩٦ ؛ الجنابي ، عجمي محمود ، هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده ، الموصل – ١٩٨٩ ، ص٣٢ ؛ رفاعي ، احمد فريد ، عصر المأمون ، مج١ ، القاهرة – ١٩٢٨ ، ص١١٥ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١ ، ص٤٥٧ ؛ شلبي ، موسوعة التاريخ ، ج٣ ، ص١٤٨ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٨٥ .

(٦) ابن طيفور ، بغداد ، ص١٩ .

كما درج الخلفاء على تعويض التجار اذا ما حدث لهم أي مكروه . إذ عوض الخليفة المعتصم التجار ما خسروه في الحريق الذي أصاب سوقهم سنة ٢٢٥هـ / ٨٣٩م [١] . ومن الاهتمامات الاخرى للخلفاء التي تؤخذ بنظر الاعتبار، ما كتبه الخليفة الطائع سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م لناصر الدولة الحمداني عندما ولاه على الجزيرة الفراتية والموصل وما جاورها إذ طلب منه مراعاة أمور العوام من المتاجرة والصناعات ومنعهم من الغش [٢] .

ومع عناية الخلفاء بأهل السوق والاسواق ، الا انهم لم يتهاونوا معهم في بعض السلبيات التي يرتكبونها ، وحرصوا على ان يظهروا امامهم بالوقار والهيبة اللازمين بعدهم ائمة الامة ، ولا سيما اذ قابلوهم في مجالسهم الخاصة ، إذ حصل في عهد الخليفة المعتضد أن تطاول قطان في كلامه في السوق ، فطلبه الخليفة ، وعند قدومه كان الخليفة جالساً مع بعض خاصته وندمائه ، لكنه ما ان علم بمقدمه ، حتى بادر الى تغيير هيأته ومجلسه ، وجلس له جلسة رسمية وحاسبه على فعلته [٣]، مما اثار دهشة الحاضرين ، فعلل الخليفة تصرفه بان الذي حضر هو احد رجال السوق واذا شاهد الخليفة على غير هيبة فانه سيكون موضوع تردده الالسن في الاسواق فاراد قطع دابر الامر منذ البداية ، فجعل المقابلة رسمية تناسب الصورة والمقام الذي للخليفة في نفوس الناس [٤].

وتعرضت بعض المناطق الى ضرر بسبب الفتن التي كانت تحصل نتيجة سوء الادارة والناجم من تسلط القوى الاجنبية ، فكانت الدولة تعمر تلك المناطق المتضررة كجزء من سياستها في ميدان الخدمات العامة التي كانت الاسواق من

(١) ابن طيفور ، بغداد ، ، ص٤١ .

(٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ،ص١٠١ ؛ ابن العماد ،شذرات الذهب، ج٢ ، ص٥٦.

(٣) الصابيء ، ابو اسحاق ابراهيم ، المختار من رسائل الصابيء ، تحقيق : شكيب ارسلان ، لبنان – ١٨٩٨ ، ص١٤١ .

(٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٣٢٦ .

ضمنها بعدها جزءاً حضرياً في المجتمع . ففي عام ٣٩٦هـ / ٩٧٩م عمّر عضد الدولة بغداد بما فيها الاسواق نتيجة الفتن التي دمرتها [١] ، ولاجل كسب تأييد أهل السوق ، عمد السلطان ملكشاه عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م الى ابطال المكوس عن التجار وللبضائع جميعها [٢] . وفي العام نفسه اشتكى عريف الصناع في واسط الى الخليفة المقتدي ظُلم الوالي لهم الذي صادر اموالهم وعاقبهم ، فانصفهم الخليفة وعزل الوالي بعد التأكد من الامر [٣].

ومثلما كان أهل السوق يشاركون كبار رجال الدولة افراحهم واحزانهم ، كما مر سابقاً – فقد اثمرت هذه المشاركة عن صلات طيبة بين رجال الدولة وأهل السوق من التجار والصناع ، حتى انهم كانوا يحضرون جنائزهم . إذ حضر والي فارس جنازة احد رجال السوق المعروفين عندما كان بشيراز [٤]، اما الوزير حامد بن العباس ، الذي استوزر للخليفة المقتدر عام ٣٠٦هـ / ٩١٨م [٥]فقد عوض احد اصحابه من التجار بسبب احتراق بستانه [٦]. هذا وكان لبعض الوزراء علاقات متينة مع التجار مبنية على الثقة وتبادل المنفعة فقد قام الوزير ابن الزيات بايداع اموال طائلة وجواهر نفيسة عند بعض تجار الكرخ بسبب خوفه من مصادر الخليفة الواثق له [٧] ، كما كان يأخذ بمشورة التجار في أمور كثيرة [٨] . وقد اودع الوزير ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية للخليفة المقتدر اموالاً كثيرة عند التجار وذلك سنة ٣٠٤هـ /

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١٠٠ .

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١١٨ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٢٧ .

(٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص٢٦١ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٨٠ .

(٦) ن . م ، ج٦ ، ص١٨٢ .

(٧) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٠ ، ص٨٠ .

(٨) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص١٠٥ .

٩١٦م [١] . وحتى نساء البلاط العباسي اللواتي عُرف عنهن الترف والبذخ ، فقد كن على علاقة جيدة مع أهل السوق .

كما هو حال عند أم ولد الخليفة المعتضد دستنويه التي ربطتها مع كبار التجار والباعة صلات طيبة ، إذ كان هؤلاء يجمعون لها ما ترغبه من البضائع النفيسة كالحرير والديباج والحلي الثمينة مقابل الاموال الطائلة [٢].

ومن المهم الاشارة الى ان الاسواق شكلت مصدراً اعلامياً بالغ الاهمية، كونها مركز استقطاب لشريحة مهمة من الناس ، وهم الشعراء الذين كانت الاسواق بمثابة منتدى ادبي وشعري لهم . ومن هذه الاسواق سوق المربد ، الذي كانت له مكانة مهمة وشأن عال في العصر العباسي ، **((حتى صار من الضروري لكل احد في عصر العباسيين ان يغشى المربد ان لم يكن لحاجة فلترويح النفس وتمتيع البصر وترويض البدن))** [٣]. هذا وقد كان للشعراء علاقات طيبة مع أهل السوق ، لوجودهم المستمر في السوق واحتكاكهم المباشر معهم ، إذ امتدح أحد الشعراء وهو ابو نخيلة [٤] أحد رجال السوق من الخبازين ، وبالمقابل كان الخباز يكرمه كل يوم بطعامه [٥] .

كما عقدت في الاسواق مجالس الغناء [٦]. إذ عرف عن أهل السوق ولعهم الشديد بالغناء فضلاً عن اشتهار بعضهم بالغناء مثل مخارق الجزار [١]، إذ

---

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج٥ ، ص٤٤ .

(٢) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ج٤ ، ق١ ، ص١٧٠ .

(٣) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٤٠٩ .

(٤) ابو نخيلة : بن حزن بن زائدة ، شاعر مدح خلفاء بني امية ثم بني العباس ، قتل على يد احد احد اعوان الامير العباسي عيسى بن موسى وهو ابن اخ الخليفتين ابو العباس السفاح وابي جعفر المنصور ، كان والياً على الكوفة ، توفي عام ١٦٧هـ/٧٨٣م . الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٠ ، ص٤١٥ ؛ سلوم ، شخصيات ، ص٢٤٣ .

(٥) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٠ ، ص٤١٥ .

(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٣٣٢ .

كان يعمل مع والده بالقصابة ثم اصبح مغنياً مشهوراً [٢] ، كذلك دحمان الاشقر [٣] الذي كان حمالاً ومغنياً فجمع بين الغناء ونقل البضائع [٤].

ومن الطريف الاشارة الى ان الاسواق حفلت بوسائل التسلية للكبار والصغار خاصة وذات فوائد تربوية ونفسية مهمة .إذ وجدت به انواع اللعب المصنوعة من الطين [٥]. التي كانت تساعد المربيات على تربية الاولاد[٦] وتعليمهم الاشياء المادية المصنعة على شكل دمى لزيادة الفهم وسرعته ، بالاضافة الى اللعب بالطيور التي اصبح لها سوق كبير في بغداد [٧].

وبما أن الاسواق كانت تمثل تمثيلاً دقيقاً كل شرائح المجتمع ، لذا وجدت بها أعداد كبيرة من الصالحين ، إذ كثرت فيها أعداد الزهاد كابراهيم بن محمد [٨] الذي كان يملك حانوتاً في السوق يعمل فيه لكسب عيشه ، ومن الزهاد من كان يتصدق في

---

(١) مخارق : بن يحيى بن ناووس الجزار ، مولى الخليفة الرشيد ، يكنى ابا المهنا ، نشأ بالمدينة وقيل الكوفة ، كان جميل الصوت تعلم الغناء واشتراه ابراهيم الموصلي واهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد وأعتقة ، توفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م . الاصفهاني ، الاغاني، ج١٨ ، ص٣٤٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص١٩١ .

(٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٨ ، ص٣٤٦ .

(٣) دحمان الاشقر : عبد الرحمن بن عمر ، الملقب دحمان الاشقر ، اتصل بالمهدي ، توفي سنة ١٦٥هـ /٧٨١م . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٧ ، ص١٣٠ ؛ الزركلي ، الاعلام، ج٣ ، ص٣٢٠ .

(٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٧ ، ص١٣٠ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص٢٦٩.

(٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٢٥١ .

(٧) الاطرقجي ، الحياة الاجتماعية ، ص٢٨٣.

(٨) ابراهيم بن محمد : بن نوح بن عبد الله ، ابو اسحاق المزكي ، الحافظ الزاهد ، امام عصره في نيسابور في الحديث والرجال والعلل . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٧٦.

السوق بطعامه ويبقى صائماً كأبي الحسين النوري [١] ، ومن المتصوفة ايضاً ممن كان له في سوق بغداد دكاناً معروف الكرخي [٢].

وبطبيعة الحال ، لا يخلو أي مجتمع من مظاهر سلبية تعكر صفو المجتمع ، بمختلف شرائحه ، فهناك الصالح الجيد ، والى جواره السيء الخبيث ، وهذا الامر يظهر جلياً في الاسواق بعدها تشكل بؤرة ملائمة للاشاعات وادعاءات الكذبة والدجالين ، إذ ادعى رجل من أهل السوق النبوة في بغداد أيام الخليفة المعتصم[٣]. كما وصف بعض أهل السوق بالحمق كالحاكة[٤] ، بالاضافة الى الكثير من الماكرين والمخادعين الذين وصف بهم بعض أهل السوق كبائعي السنانير [٥].

---

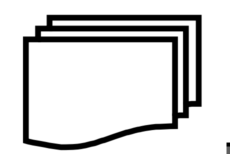
(١) ابو الحسين النوري : احمد بن محمد ، ابن البغوي ، اصله من خراسان من ناحية بغ ، كان كثير الاجتهاد ، حسن العبادة . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٧٧ ؛ الخاقاني ، علي ، شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم ، ج٢ ، بغداد – ١٩٦٢ ، ص٥.

(٢) معروف الكرخي : ابو محفوظ ، كان ابواه نصرانيين ، اسلم على يد علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، فاسلم ابويه بعده على يده ، سمي بالكرخي نسبة الى الكرخ في بغداد ، احد اعلام الزهاد المتصوفين ، اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الامام احمد بن حنبل من جملة من يختلف اليه ، توفي سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص٣١٩ ؛ الغزنوي ، ابو الحسن علي بن عثمان ، كشف المحجوب ، صححه : والنتين زوكوفسكي ، امير كبير – ١٣٣٦هـ ، ص١٣٧ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٢٦٩ .

(٣) القيرواني ، ابو اسحاق ابراهيم ، ذيل زهر الادب ، صححه : السيد محمد امين الخانجي ، مصر – ١٣٥٣هـ ، ص١١٧ .

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٤٩ .

(٥) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : فوزي عطوي ، ج٥ ، بيروت – ١٩٧٨ ، ص٣٠٣ .



٢. تكاتف أهل السوق

ان طبيعة عمل أهل الاسواق فرضت عليهم وجوب التكاتف فيما بينهم والتعاون وحسن التعامل وتحقيق مصالحهم المشتركة بل وحمايتها ، بغض النظر عن جنسهم أو ديانتهم ، وذلك لحاجة بعضهم الى البعض الآخر ، فكل مهنة تكمل الاخرى في عملها كحاجة الحداد الى النجار والنجار الى الصباغ وهكذا[١]. أضف الى ذلك ان هذا التكاتف يشتد عند أصحاب المهنة الواحدة ، إذ كانوا يجتمعون ضد أي خطر يهدد مصالحهم ، حتى انهم شكلوا فرقاً من بينهم لحراسة محلاتهم واسواقهم ضد اللصوص ، فعندما استولى احد العيارين على اموال احد البزازين سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م تكاتف أهل السوق فيما بينهم من اجل ارجاع ماله ونجحوا في ذلك واجبروه على اعادته [٢]. وليس هذا فحسب ، بل أن أهل السوق كانوا يتعاونون لحل أية ازمة أو ضيق مادي يتعرض له أي احد منهم ، فكان إذا اصاب احدهم ازمة مالية قد تؤدي به الى الافلاس ، ليعمدون الى جمع مبلغ من المال له أو يخلون له السوق لكي يسد حاجته ويكون الربح له فقط دون غيره ، فحينما خسر احد القصابين أمواله اخلى له القصابون السوق لكي يجني اكبر قدر من المال يعوض به ما خسره [٣].

كما كان التجار يتعاونون فيما بينهم لسد أي نقص في البضائع في مناطقهم ، كما حصل سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م إذ اتصل تجار الرقة بتجار بغداد يخبروهم بانعدام الزيت لديهم ويطلبون منهم شراءه لهم من بغداد [٤].

---

(١) ابن ابي الربيع ، احمد بن محمد ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق : ناجي التكريتي، بيروت وباريس – ١٩٧٨ ، ص١١٢ ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، الكويت – ١٩٨٦ ، ص٨٥ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٦٢ .

(٣) الجاحظ ، رسائل ، ج٢ ، ص٢٠٠ – ٢٠١ .

(٤) الهمداني ، تكملة تاريخ ، ج١ ، ص١٥ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص٢٥ .

وهذا التكاتف الذي كان على اشده جعلهم قادرين على مواجهة أي ظلم او تعسف يلحق بهم ويهدد مصالحهم حتى وان كان من الدولة نفسها . وهذا ما فعله أصحاب السوق ضد البويهيين المتسلطين في عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م عندما فرضوا الضرائب على المنسوجات القطنية والحريرية ، فقام أصحاب هذه الصناعة بتمرد ولم يهدأ الا بعد ان اجبروهم على الغاء هذه الضريبة . وفي العام نفسه قرر البويهيون أن يفرضوا ضريبة على الابريسم والاقمشة القطنية ، فاجتمع أهل السوق في جامع المنصور احتجاجاً ، وكادت ان تحصل فتنة عظيمة لولا تلافي الموقف والغاء الضريبة ، وفي سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م قطع اصحاب المهن الخطبة والصلاة ومنعوا آستمرارها بسبب اعتراضهم على كثرة الضرائب المفروضة عليهم آنذاك [1].

ونتيجة هذا الترابط المهني وبسبب المتغيرات الاجتماعية الكبيرة الحاصلة في المجتمع آنذاك ، اختفت بعض المعايير الاجتماعية القديمة ، إذ كانت نواة النظام الاجتماعي قبل ذلك تقوم على اساس القبيلة ، وبما ان الامصار كانت مراكز لحياة اقتصادية نشطة ، لذا شكلت مصادر جذب لسكان المناطق المجاورة الذين احتكوا وتأثروا فيما بينهم كثيراً ، كما انهم لم يعودوا خاضعين لسلطة شيخ القبيلة وانما لسلطة الخليفة او الوالي والمراتب الادارية الاخرى بالاضافة الى ان الكثير منهم عملوا بالاسواق ، لذا فهم عملياً أصبحوا خارج نطاق سلطة العشيرة ، فاعمالهم التجارية حتمت عليهم اقامة علاقات متنوعة مع أناس ليسوا بالضرورة من أبناء عشيرتهم ، فمصالحهم الفردية جعلتهم يستقلون تدريجياً عن عشائرهم . بالاضافة الى أن الدين الاسلامي يدعو الى الاخاء والمساواة بغض النظر عن الاصل والجنس [2]. لذا بدأت عادات وانماط جديدة لدى أهل السوق بالظهور ، كانت محببة لديهم ، منها التسمي بالمهنة والانتساب لها فيقال الرفاء لمن يرفو الثياب ، والمشهور بهذه النسبة الشاعر

---

(١) الصابئ ، تاريخ ، مج٨ ، ص٤ ؛ القيسي ، الحرف ، ص١٣٦ .

(٢) العلي ، التنظيمات ، ص٥٦.

المعروف السري الرفاء [١]، وايضاً يقال الرزاز نسبة الى مهنة بيع الرز واشتهر بهذه التسمية ابو العباس الرزاز [٢]، والرخامي نسبة الى عمل الرخام وبيعه ومن مشاهير اصحاب هذه المهنة ابو العباس الرخامي [٣]، والصابوني نسبة الى صناعة الصابون كأبي عثمان الصابوني [٤]. بالاضافة الى العديد من الالقاب الاخرى التي تنسب الى اعمال في السوق مثل الرآس نسبة الى بيع الرؤوس المشوبة [٥]كذلك الزيات والبزاز والصائغ وغيرها[٦].

ولم يكتف أهل السوق باتخاذ اسواقهم اماكن للتشاور في أمورهم الاجتماعية بل اتخذوا من دكاكينهم أماكن للتجمع والتشاور والمسامرة فيما بينهم في أمور مهنهم مثلاً [٧] فيحدث كل واحد منهم بحسب صنعته التي يُستدل عليها من خلال كلامه ، فالخياط تعرف مهنته من خلال المفردات التي يذكرها في اثناء حديثه كالابرة والدرز والخيط وغيرها من مفردات عمله ، وكان الشيء نفسه ينطبق على الخباز والطباخ وغيرهم من اصحاب الحرف [٨] .

---

(١) السري الرفاء : ابو الحسن بن احمد ، شاعر مجود حسن المعاني ، رقيق الطبع ، موصلي الاصل ، توفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م . السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم ، الانساب ، صححه : عبد الرحمن يحيى العلمي ، ج٦ ، ط١ ، الهند – ١٩٦٦ ، ص١٤٤ .

(٢) ابو العباس الرزاز : احمد بن محمد بن علويه الجرجاني ، راوية للحديث ،صحيح السماع، ولد سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م وتوفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م .السمعاني،الانساب،ج٣ ،ص٢٣٧.

(٣) ابو العباس الرخامي : الفضل بن يعقوب ، من أهل بغداد ، سمع الحديث ، كان صدوقاً ثقة. السمعاني ، الانساب ، ج٦ ، ص٩٧.

(٤) ابو عثمان الصابوني : اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، المعروف بشيخ الاسلام ، كان اماماً مفسراً محدثاً فقيهاً واعظاً خطيباً . السمعاني ، الانساب ، ج٨ ، ص٢٤٧.

(٥) السمعاني ، الانساب ، ج٦ ، ص٣٨ .

(٦) ن ، م ، ج٨ ، ص٢٦٦ .

(٧) الشيخلي ، الاصناف ، ص١٣٥ .

(٨) القيرواني ، ذيل زهر الادب ، ص١١٧ .

وبسبب طبيعة عمل أهل السوق ووفق ما املته عليهم مصالحهم المشتركة وظروف المعيشة ، مع شدة التكاتف فيما بينهم ، ظهرت تجمعات سكنية غلب عليها أصحاب الحرف والمهن ، إذ سكنوا في درب او محلة واحدة اصبحت تسمى فيما بعد باسمهم مثل درب القصارين وشارع الحدادين ودرب الزياتين [١] ومحلة الجزارين واصحاب الصابون واصحاب الطعام [٢]. فالبزازون معظمهم سكنوا في درب الزعفران [٣]، اما التجار فاشتهرت محلة باب المراتب في الجانب الشرقي من بغداد بانها مستقر لاكابر التجار .كما اتخذوا من ضفاف الانهر مركزاً لمساكنهم، مثل نهر الدجاج ونهر كرخايا [٤]. وهذا بطبيعة الحال متأتٍ من الحالة المادية العالية التي تمتعوا بها التي ادت بهم الى أن يسكنوا الاماكن الجميلة والغالية الثمن. وعموماً ، استقر أكثر التجار في الكرخ لانها كانت مركزاً تجارياً مهماً يفد اليه الكثير من التجار والبضائع من مختلف الانحاء التي تنقل منها الى مختلف البلاد [٥]، كما سكنوا في سوق يحيى [٦]، اما باب الشام فكانت من الأسواق العظيمة المعروفة في بغداد ومستقر التجار الاجانب [٧].

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٨١.

(٢) ن ، م ، ج١ ، ص١١٣ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٤٨ ؛ المسري ، تجارة العراق ، ص٧٩ .

(٤) ن ، م ، ج٥ ، ص٣٢٠ ؛ ن ، م ، ص٧٩ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٨ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص٨٢.

(٦) سوق يحيى : محلة ببغداد ، في الجانب الشرقي منسوبة الى يحيى بن خالد البرمكي ، اقطعه اقطعه اياها الرشيد ، انتقلت الى ام جعفر زوجة الخليفة هارون الرشيد ثم الى طاهر بن الحسين ، وخربت عند ورود السلاجفة الى بغداد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٣ ، ص٢٨٤ .

(٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص١٦ .

وبمناسبة الحديث عن سكان أهل السوق وأهم المحلات التي استقروا بها ، وكيف ان هذه المحلات ارتقت برقي ساكنيها المترفين مادياً فلا بد ان نذكر هنا بعض مشاهير أهل السوق ولا سيما التجار لما كانت تدره عليهم أعمالهم من أرباح بسبب براعتهم بعملهم واجادتهم له وطبيعة العلاقة التي ربطتهم مع كبار رجال الدولة الذين كانوا يشترون الغالي والنفيس منهم باثمانٍ باهضة ، مما جعل بعضهم على درجة عالية من الغنى [١]. ومن أشهرهم التاجر المعروف ابن الجصاص (ت٣١٥هـ /٩٢٧م) كذلك التاجر ابو عبد الرحمن بن المبارك الحنظلي (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م) الذي كان مبلغ ما ينفقه على الفقراء يصل الى ما يقارب من مائة الف درهم في السنة [٢]، كما ورث احد ابناء التجار ثروة تقدر بخمسمائة الف دينار [٣] [٣] ، مما يؤشر الثراء العالي الذي امتلكه هؤلاء التجار جراء توسع عملهم التجاري وتنوعه .

واتصفت مساكن المترفين من أهل السوق بكونها متواضعة وبسيطة من الخارج لكنها فاخرة الطرز المعمارية من الداخل ، فهي مزينة بالذهب والفضة ومفروشة بالاثاث الفاخر والستائر المذهبة والبسط الثمينة ، اما حدائقهم فكانت في غاية الجمال والروعة في التنسيق والعناية ومزروعة بأنواع الورود والرياحين النادرة ، وتسرح فيها الطيور الغريبة المجلوبة من شتئ المناطق . كما مكنتهم حالتهم المادية العالية من الاستعانة بطباخين من بلدان مختلفة ليعدوا لهم أشهر وجبات بلدانهم وكانت أوانيهم مطعمة بالزجاج المنقوش والذهب والفضة ، كما وضعوا الخيش المبلل لتبريد بيوتهم ،

---

(١) البيهقي ، المحاسن والمساؤى ، ص٢٩٢ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص٢٩٥ ؛ ومع ان في هذه الرواية مبالغة كبيرة لكنها مع ذلك توضح امرين اولهما روح التدين تجلى بها هؤلاء ، والثاني ثرائهم الفاحش المتأتي من عملهم التجاري ، بحيث يتيح لهم الاحسان الى الآخرين بهذا الشكل .

(٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص١٨٤ ، ١٨٦ .

اذ كان الخلفاء هم أول من وضعوا الخيش المبلل لتبريد بيوتهم ، ثم استظرفه الاغنياء من التجار فأستخدموه [١].

ووفر السكن المشترك بين أهل السوق درجة عالية من الاحساس بالامان لاصحابه وزاد من تماسكهم وتعاطفهم فيما بينهم ، كما درجوا على التجمع والجلوس في أحد الدكاكين كدكان بقال او خياط لقضاء أوقات الفراغ والخوض في الاحاديث المختلفة . هذا التجمع لم يقتصر على اصحاب الدكاكين ، بل شمل احياناً اناس من غير أهل السوق ، ليستمعوا الى الاحاديث التي كانت تدور حول أمور مهنهم او أي أمور عامة [٢]. ودل السكن المشترك على تماسك أهل السوق وتأثير حرفهم في حياتهم المعاشية بل وحتى السكنية بحيث جعلتهم يعيشون في مجمعات سكنية تسمى بآسم حرفهم .

ولم تقتصر المجالس التي عقدت في السوق على أهله ، بل وجدت مجالس اخرى عقدت ايضاً في الاسواق وهي مجالس القصاصين ، والقاص هو الرجل الذي يجلس في الاسواق أو المقابر أو الجوامع أو الطرق ، يقص القصص ذات الطابع الديني الذي يتوخى منها الوعظ والارشاد ، وبسبب تأثيرهم المباشر في العديد من بسطاء الناس ، خافت الدولة من أي تاثير مضاد او سلبي قد يمارسوه على العامة ، لذا كانت تلجأ احياناً الى منعهم من ممارسة عملهم ، كالذي فعله الخليفة المعتضد حينما منعهم في عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م من عملهم هذا [٣].

ومن ناحية أخرى أصبح السوق من أهم مناطق الاعلان والتنويه في المجتمع آنذاك ، لتجمهر الناس فيه خاصة في الاعياد والمناسبات أو لغرض التسوق أو اللقاء

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٢٢٥ ؛ الجومرد ، هارون الرشيد ، ج١ ، بيروت –١٩٥٦، ص١٩٢ ؛ المسري ، تجار العراق ، ص٧٧.

(٢) التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٨٨ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص٨٣ ؛ الاطرقجي ، الحياة الاجتماعية ، ص٢٨٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج١٠ ، ص٥٤ ؛ الاطرقجي ، الحياة الاجتماعية ، ص٣١٣ .

بالاصحاب ، فبهذا عد السوق احد أكثر اماكن الكثافة السكانية ، التي يتم من خلالها نقل الاخبار العاجلة او التنويه عن أمر مرفوض(١) ، وبثه بين الناس . اذ كان التقليد السائد آنذاك عند الاعلان عن مواعيد سفر عمال البريد ان يسير المنادي في المرافق الحياتيه في المدينة ومنها الاسواق ليعلن عن ذلك (٢). وفي سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٦م نودي في الاسواق بالنهي عن اشعال النيران ليلة النوروز أو رش الماء في هذا اليوم . وفي عام ٢٨٨هـ/٩٠٠م أمر الخليفة المعتضد باغراق احد اللصوص الذي قتل امرأة واغرقها وسرق مجوهراتها وان ينادي في الاسواق عن أهل المرأة ليتسلموا ما كان لهم من الحلي التي سرقها(٣).

وعندما كان الخليفة يريد أن يعلن عن أمر ما فانه يأمر ان ينادى به في الاسواق اذ نادى منادي الخليفة المتقي (٣٢٩ –٣٣٣هـ/٩٤٠ – ٩٤٤م) في الاسواق بان يخرج الناس ليؤدوا صلاة الاستسقاء لانحباس المطر آنذاك (٤). وحتى المتمردين استغلوا الكثافة العددية في السوق لكسب المناصرين لدعوتهم (٥).

ومن الملاحظ وجود قاض خاص لأهل السوق لفض المنازعات التي تحصل بينهم وكان مقره في الجامع(٦) ، ومن المحتمل جداً ان مكان هذا الجامع هو السوق أيضاً ، بالاضافة الى ذلك وجد مجلس يسمى بمجلس الانزال وهو متفرع من ديوان

---

(١) ابن بسام ، محمد بن احمد ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : حسام الدين السامرائي، بغداد – ١٩٦٨ ، ص١٨٠ .

(٢) ابن ابي الحديد ، عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : لجنة احياء الذخائر ، مج٣، بيروت – ١٩٦٣ ، ص٧٦٩؛سعداوي ، نظام البريد، ص٧٠.

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٨٨ .

(٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٤ ، ص٢١٤ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٤٤٢ .

(٦) لسترانج ، بغداد ، ص٨٦ .

النفقات ، مهمته محاسبة أهل السوق من بائعي الحلوى والخبز واللحم والثلج والفاكهة والحطب والزيت وغير ذلك [1].

وعلى قدر ما كان التكاتف والتعاون كبيراً بين أهل السوق إلا انه كثيراً ما كانت تحدث بينهم المشاكل والفتن . ففي عام ٣٠٧هـ/٩١٩م حصلت فتنة بين أصحاب الطعام والاساكفة [2]، وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م وقعت الضغينة بين أصحاب الطعام والبزازين في الموصل وأدت الى حرق الاسواق وقتل العديد من الناس ولم تنته الا بعد تدخل أمير الموصل وهو الحسين بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وتدخل العلماء والفقهاء للاصلاح بينهم [3]. وحصلت فتنة سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م في بغداد بين أهل الكرخ وأهل محلة باب الشعير [4]، كان من نتاجها خراب كبير .

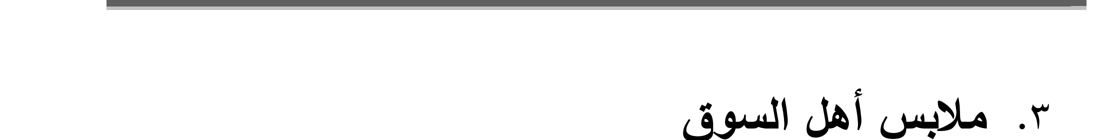
---

(١) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص٣٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٦٥ .

(٣) ن ، م ، ج٦ ، ص٢٠٦ .

(٤) ن ، م ، ج٧ ، ص٢١٨ .



٣. ملابس أهل السوق

ان طبيعة الاعمال التي زاولها أصحاب المهن آنذاك ، فرضت عليهم انواعاً خاصة من الملابس تتلائم وطبيعة عملهم ، إذ اختلفت ملابسهم واختصت بهم ايضاً ، فالطباخون مثلاُ استخدموا بدلة عمل خاصة بهم تتناسب وطبيعة عملهم [١]، وكان السقائون يلبسون التبابين [٢] ، اما العجانون فارتدوا الملعبة[٣] او البشت [٤]، مع شد الفم بقطعة قماش خوفاً من أن يعطسوا فيقطر شيء على العجين [٥]. واختص الشوائين بلبس الازار [٦]، وبشكل عام ارتدى أهل السوق جميعهم القميص ليس فقط في اوقات العمل بل في حياتهم اليومية لانه كان لباس العامة والخاصة [٧]مع بعض التميز بين فئة وأخرى ، وآرتدى الصناع البسة من الجوخ [٨]سوداء او زرقاء قاتمة عموماً أو من لون أخر[٩] وهي عبارة عن صايات طويلة تصل الى منتصف سيقانهم مطرزة من

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٤٨ .

(٢) التبابين : جمع تبان وهو سروال قصير يستر الاجزاء الوسطية من جسم الانسان . ابن بسام، نهاية الرتبة ، ص٢٥ .

(٣) الملعبة : هو ثوب من غير كم . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٢٢ ، هامش ٥ .

(٤) البشت : هو رداء من الصوف غير مصبوغ يلبسه الفلاحون والنساء والعجانون . الشيزري، نهاية الرتبة ، ص٢٢ ، هامش ٥ .

(٥) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٢٢.

(٦) الازار : هو نوع من التبان لتغطية الارداف . دوزي ، رينهارت ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : اكرم فاضل ، بغداد – ١٩٧١ ، ص٣٨ ؛ الشيخلي ، الاصناف ، ص٩٢ .

(٧) صالح ، عبد العزيز حميد ، الملابس عند العرب حتى نهاية العصر العباسي ، بغداد – لا . ت ، ص٢٢ .

(٨) الجوخ : نوع من انواع القماش كان يستخدم لصنع الملابس والستائر ، دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس ، ص١٠٧ .

(٩) دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس ، ص١٠٧.

الباطن واكمامها قصيرة تصل الى اعلى المرافق ، هذه الصايات ارتداها التجار ايضاً [1]، كما لبسوا القلانس الطويلة [2].

وعرف عن تجار مكة ارتداؤهم البنيش[3] الذي يضيفونه الى ثوبهم الاعتيادي ويكون طويلاً وعريضاً مصنوعاً من الصوف المخطط بخطوط طويلة سوداء ، كما لبسه التجار الاغنياء من الامصار الاخرى ايضاً [4]، وتتسم هذه الالبسة بالفخامة وهي وهي فضفاضة وواسعة وذات طيات رقيقة [5]. بالاضافة الى الطيلسان الذي كان لباساً لباساً عاماً يغطي البدن الخارجي واشترك بلبسه معظم الناس آنذاك [6] . وعرف للبزازين زي خاص بهم [7]، اما الصيارفة فلهم ملابسهم الخاصة التي تناسب عملهم، إذ كانوا يرتدون الجبة ذات الاكمام الواسعة التي يبلغ عرضها نحو ثلاثة اشبار وهي بمثابة الجيوب التي تُحفظ فيها الرقاع[8]. وكان البقالون يضعون العمامة على رأسهم [9]، ومن الغريب ان مصادرنا القديمة لم تشر الى لبس أهل السوق العمامة الا عند البقالين فقط مع العلم ان لبس العمامة كان أحد مستلزمات الزي العربي الاسلامي

---

(١) دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس ، ص١٠٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٧ ؛ العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص١٩١ .

(٣) البنيش : هو رداء واسع فضفاض ردناه كبيرتان للغاية حيث انهما يفوقان كثيراً في طولهما الذراع وطول اليد ويكونان مشقوقان في النهاية . دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس، ص٧٦ .

(٤) دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس ، ص٤٥.

(٥) ن ، م ، ص٤٥ ؛ عواد ، ميخائيل ، صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٤٣ ؛ العبيدي ، صلاح حسن ، الملابس العربية في العصر العباسي الثاني ، العراق – ١٩٨٠ ، ص١٥٥.

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٣٢٨ ؛ العبيدي ، الملابس العربية ، ص٦٣ .

(٧) ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص١٩٠ ؛ العبيدي ، الملابس العربية ، ص٢٤٥ .

(٨) عواد ، حضارة بغداد ، ص٤٥ .

(٩) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص١١٤ .

آنذاك ،إذ كانت العمامة تمثل المروءة والادب ولا يجوز خلعها الا في المناسك تعبداً وتذللاً لله سبحانه وتعالى (١).

كما ارتدى أهل الحرف والمهن نوع من الازر الذي كان عبارة عن لباس شعبي معروف في ذلك الوقت (٢).

ولا بد من الاشارة اخيراً ، الى ان من واجبات المحتسب الاهتمام بملابس أهل السوق وتأكيد على ارتدائها ، ووضع شروط خاصة لا يمكن لأهل الصناعات العمل الا بعد ارتدائها والا تعرضوا للمحاسبة ، فالعجان لا يعجن الا بعد ان يشد عصابة على جبينه حتى لا يتساقط عرقه على العجين (٣). وكان المحتسب يتفقد نظافة ملابس ملابس الشوائين والسقائين والسمانين وغيرهم من أهل الصناعات التي تتعارض وصحة الناس (٤). ولم يقف عمل المحتسب على محاسبة أهل السوق فقط ، بل حتى المارين في السوق لغرض التسوق ، فمثلاً كان يأمر كل من يشتري سمكاً ان يضعه في سلة حتى لا يوسخ ملابس المارة ، والا حجزه لتأديبه وليكون عبرة لغيرة (٥).

ومن الملفت للنظر ، أن المحتسب قام باعمال أخرى في السوق غاية في الاهمية من الناحيتين التربوية والاجتماعية ، هدفها صيانة المقدسات من جهة ، وصيانة كرامة الانسان من جهة اخرى ، اذ منع الفقراء من قراءة القرآن الكريم في الاسواق ، لئلا يتخذوا من القرآن الكريم وسيلة للتكسب إجلالاً له ، فضلاً عن طهارة هذا الكتاب المبارك ، ناهيك عن انشغال الناس عنه بأعمالهم ، إذ كان كثير من الفقراء يطوفون وهم يقرأون القرآن طلباً للمال إذ اتخذوا من الاسواق مكاناً للارتزاق والمأوى (٦).

---

(١) ابن الجوزي ، نقد العلم والعلماء ، ص٢٥١.

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٢٥٥ ؛ العبيدي ، الملابس العربية ، ص١٨٥.

(٣) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص٢٠.

(4)Grunebaum,OP, Cit , P.217.

(٥) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص١١٣ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص٥٣.

(٦) ابن الحاج ، المدخل ، ج٢ ، ص٩٣ ؛ ابن بسام ،نهاية الرتبة ، ص٢١٥ ؛ المنجد ، صلاح صلاح الدين ، الظرفاء والشحاذون ،دمشق – لا . ت ،ص٨٤ ؛ فهد ، العامة ، ص١٦٧.

٤. الاهتمام بأبنية السوق وملحقاته

كانت للاسواق ، وما زالت اهمية كبيرة وتأثير قوي في حياة الناس ، لذا حظيت باهتمام وعانية شديدتين ، فبسبب كونها مركزاً عاماً للتجمع ، ونشاطاً بشرياً كثيفاً كان من الضروري وجود المساجد فيها [١]. ليتمكن الناس من اداء الصلاة في اوقاتها . فعندما بنى الخليفة ابو جعفر المنصور اسواق الكرخ ، جعل المسجد الجامع وسط السوق [٢]، لكي يجتمع فيه الناس ومنهم أهل السوق يوم الجمعة ، ويتمكنوا من اداء فريضة الصلاة .

وفي الموصل بنى الوالي اسماعيل بن علي (١٣٥-١٤٢هـ/٧٥٢- ٧٥٩م) المسجد المعروف بمسجد ابي حاضر وسط الاسواق [٣]، كذلك فعل الخليفة المعتصم عندما اختط مدينة سامراء ، إذ جعل الاسواق حول المسجد الجامع[٤] .

وبالاضافة الى ما تقدم ، اهتمت الدولة خصوصاً والناس عامة بكل ما يكمل حاجة السوق وأهله من الابنية ومستلزماتها ، وأولها الحمامات ، فالاسلام دين نظافة وطهارة ، واول مستلزمات المؤمن تحقيق هذا الجانب ، لذا كثر وجود الحمامات في شتى عصور الدولة العربية الاسلامية ولا سيما قرب الاسواق أو داخلها تحديداً . كما نجد ان خططها وبنائها يمتدان لوقت بعيد [٥] ، فتشير الاحصائيات الى وجود عشرة

---

(١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٦ ، ١٢١، ١٢٣ ،٢٢٥.

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ص٢٤٨ .

(٣) الازدي ، تاريخ الموصل ، ج٢ ، ص٢٤٨؛ العبايجي ، ميسون ذنون ، الكامل لابن الاثير مصدراً لدراسة الاحوال الحضرية في الموصل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد – ١٩٩٦ ، ص٥٩ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٥ .

(٥) ابن دقماق ، الانتصار ، ص١٠٥ .

الاف حمام في بغداد [1] ، ويذكر الخطيب البغدادي ، انها أصبحت ايام الموفق ستين الف حمام [2] ، ويوجد في دمشق ٥٧ حماماً [3] ، وفي الفسطاط ١١٧٠ حماماً [4]. كما خصصت بعض هذه الحمامات للنساء ، اذ تشير الروايات الى وجود حمام للنساء في سوق يحيى زمن الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١ -١٠٣١م) [5] .

وان كثرة الحمامات عموماً يؤشر ناحية حضرية بالغة الاهمية وهي الوعي التام بقيمة النظافة والطهارة في حياة المسلمين بعدها جزءاً اساسياً من مبادئ الدين الاسلامي على عكس ما كانت عليه اوربا آنذاك التي كان اهتمام اناسها بالنظافة محدوداً مع محدودية عدد الحمامات لديهم من ناحية اخرى كان على المحتسب مراقبة الحمامات ، ويأمر اصحابها بتنظيفها بالماء الطاهر ، وتدليك البلاطات وتعطيرها باشعال البخور مرتين في اليوم [6].

ومن المنشآت التي بنيت في الاسواق ايضاً لاهميتها ولدورها العلمي والتعليمي المهم ، المدارس ، تحقيقاً لأكبر قدر من الفائدة العلمية لأكبر عدد من طلاب العلم ، ذلك لسهولة الوصول اليها . فقد بنى الوزير السلجوقي نظام الملك مدرسة سنة

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١١٨ . ومع ان في هذا العدد مبالغة واضحة ، لكنه يؤكد حقيقة الاهتمام بالنواحي الحضرية الاساسية لحياة الانسان في المجتمع العربي الاسلامي آنذاك .

(٢) ن ، م ، ج١ ، ص١١٧ .

(٣) ابن عساكر ، ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسين ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محمد احمد دهمان ، ج١ ، دمشق – لا . ت ، ص٢٥١ .

(٤) المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص٨٠.

(٥) الرحيم ، الخدمات العامة ، ص٣٠٩ .

(٦) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٨٧ .

٤٥٧هـ/١٠٦٤م سميت باسمه هي المدرسة النظامية وانشأ حولها الاسواق والدكاكين [١]، اهمها سوق الثلاثاء [٢].

اما مدرسة ابي حنيفة التي بناها شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان الب ارسلان السلجوقي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، وكان حولها الاسواق والمحلات منها محلة سوق يحيى [٣]، ومن المدارس الاخرى التي بنيت وسط الاسواق ، مدرسة تركان خاتون (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) الجلالية بنت طراج زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي [٤].

وللأهمية التي حُظيت بها الاسواق ، بـُنيت المارستانات فيها ايضاً ، منها المارستان الذي بناه عضد الدولة سنة ٣٧١هـ/٩٨١م وسمي بالمارستان العضدي وسط سوق يسمى بسوق المارستان [٥].

ومن ناحية اخرى ، قامت الدولة بواجبها في حقل الخدمات العامة ، بتحقيق كل ما يفيد أهل السوق ، إذ عمدت الى بناء الجسور والقناطر بين الاسواق . فقد فرغ

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٣٥٥ ؛ الاعظمي ، علي ظريف ، مختصر تاريخ بغداد ، بغداد – لا . ت ، ص٨١ ؛ التكريتي ، عبد المنعم احمد ، ابو منصور الجواليقي واثاره في اللغة ، ط١ ، بغداد – ١٩٧٩ ، ص٢٠ .

(٢) سوق الثلاثاء : من اعظم اسواق الجانب الشرقي ببغداد ، كل صناعة فيه على حدة ، بنى وسطها المدرسة النظامية التي صارت من افضل المدارس ، سمي بسوق الثلاثاء لانه يقوم عليه سوق في كل شهر مرة يوم الثلاثاء ، فنسب الى ذلك اليوم . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٣٩٠ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٧٠ ؛ رؤوف ، عماد عبد السلام ، مدارس بغداد في العصر العباسي ، ط١ ، بغداد – ١٩٦٦ ، ص٣٤ .

(٤) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، ج٥ ، الكويت – ١٩٤٨، ١٩٤٨، ص١٦٤ ؛ الدمشقي ، عبد القادر بن محمد ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، ج١ ، بيروت – ١٤١٠هـ، ص٩٦ ؛ رؤوف ، مدارس بغداد ، ص٤٤ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص١١٢ ؛ المسري ، تجارة العراق ، ص١٢٥.

بهاء الدولة البويهي [١] في سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م من بناء الجسر الذي شيده بين مشرعة القطانين ومصب نهر عيسى وبين سوق الثلاثاء من الجانب الشرقي [٢].

ولعل من بين الابنية المهمة الموجودة داخل الاسواق الفنادق التي كان ينزلها التجار للاستراحة وحفظ بضائعهم في مخازنها ، وكثير ما كانت توجد قرب الجوامع [٣]، فيذكر المقدسي يذكر وجود الفنادق في اسواق الموصل قرب الجامع [٤]. كما بنيت الخانات التي هي عبارة عن بناء يتكون من طابقين ينفتحان على فناء وسطي ، يستخدم الطابق الاسفل كحوانيت والاعلى للنوم ، يسكنه التجار المسافرون وخاصة تجار الجملة منهم ، ويتم فيها بيع مختلف البضائع وشرائها إذ وجدت فيها اماكن لخزن المواد الثمينة [٥]، واشتهرت من بينها خانات بغداد مثل خان وردان [٦]، وخانات مصر التي كانت تقارب المائتي خان [٧].

اما القيساريات ، فتعد من أهم أبنية الاسواق ، فبسبب النشاط التجاري الواسع، وعدم قدرة الاسواق على استيعاب ذلك النمو والنشاط التجاري وجدت القيساريات ، وامتازت بكبر مساحتها ، إذ كانت تتكون من طابقين الارضي استخدم كحوانيت

---

(١) ابو نصر فيروز : الملقب بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي المتوفي سنة ٤٠٣هـ /١٠١٢م جمع من الاموال ما لم يجمعه غيره . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٦٤.

(٢) ن ، م ، ج٧ ، ص٢٦٤ ؛ الرحيم ، الخدمات العامة ، ص٢٧١ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٢٩٢ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٢٨٤ ؛ الجومرد ، ابو جعفر المنصور ، ص٣٥٧ .

(٤) احسن التقاسيم ، ج١ ، ص١٣١.

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٦٠ ؛ الزركاني ، من التراث ، ص١٧ ؛ ناجي ، دراسات ، ، ص٣٩٦ .

(٦) خان وردان : شرقي بغداد منسوب الى وردان بن سنان احد قواد المنصور . ياقوت الحموي ، ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٤١ .

(٧) خسرو ، ناصر ، سفرنامة ، ترجمة : يحيى الخشاب ، بيروت – ١٩٧٠ ، ص١٠٦.

للتجار ، والعلوي كسكن للنزلاء [١]. ومن اهم تلك القيساريات ، قيساريات الموصل [٢]، وقيسارية حلب التي اشتهرت ببيع الاقمشة وحوت على عشرين دكاناً [٣]، اما قيساريات قيساريات القاهرة فقد بلغ عددها احدى وعشرون قيسارية [٤]، وقيساريات دمشق ايضاً [٥].

وهذه الهيكلية الواسعة التي ضمتها الاسواق ، وتعدد مرافقها ورؤوس الاموال الطائلة المتعامل بها داخل السوق ، مع كثرة وتنوع البضائع النفيسة الغالية الثمن والنادرة ، استوجبت وجود من يحرسها ، لذا عينت الدولة الحراس عن طريق صاحب الشرطة ، الذين كانوا يحرسون الاسواق ليلاً مع وسيلة مساعدة فعالة جداً وهي الكلاب [٦].

واخيراً ، لابد من الاشارة الى نقطة مهمة جداً تتعلق بالاسعار . فالاسواق تشكل أرضية خصبة لمعرفة تقلبات السعر واسعار الصرف ، بسبب جملة من الامور تؤثر بالسوق سلباً أو إيجاباً . منها الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والرياح، والحرائق ، والاوضاع السياسية هي الاخرى تؤثر بقوة في مجريات الحياة في الاسواق وبالتالي في الاسعار ، لذا فمن الطبيعي ان تتأثر سلباً بضعف الوضع السياسي . فترتفع الاسعار ويحدث الغلاء وتبدأ معاناة فئات عديدة من المجتمع للحصول على مواد حياتها الاساسية . وهذا ما كان يحدث بالضبط في حقب ضعف الخلافة العباسية ولا سيما في حقب السيطرة الاجنبية على مقدراتها . فدخول البويهين العراق عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م أحدث سلسلة من المجاعات وارتفاع الاسعار ، وهو أمر ان دل على شيء فيدل على

---

(١) الصابئ ، رسوم دار الخلافة ، ص٣٦ .

(٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢١٠.

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٤١٣ .

(٤) المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص٨٦ – ٩٢ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢ ، ص٢٥٤،

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص١٦٩ .

حجم المعاناة التي عاشها الناس على ايدي اولئك المحتلين الاجانب ، وعلى سوء السياسة الاقتصادية ولا سيما المالية التي اتبعوها والتي سببت خراب الاقتصاد واستنزاف الواردات ، مما زاد الامور سوءاً على الناس عموماً ولا سيما أهل السوق [١].

كما لعبت الحوادث والكوارث الطبيعية دوراً مؤثراً في رفع الاسعار ، فالحرائق كانت تحدث ضرراً كثيراً في الاسواق ، مما يؤدي الى خسائر هائلة كالذي حدث عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م ، فاضطر بعدها أهل الاسواق الى تدبير حماية أنفسهم ،فاتخذوا جرار الماء عند المحلات، وشكل السقائون ما يشبه فرق الاطفاء الحالية ، وجعلوا أماكنهم قرب اصحاب الشرطة[٢] ، لسرعة الاتصال بهم عند الحاجة .وعموماً كانت الحرائق التي تحدث في الاسواق كثيرة ومدمرة تحمل الخراب لأهلها كالحريق الذي أتى على سوق النجارين كله ببغداد عام ٣٠٣هـ/٩١٥م ، اما حريق عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م [٣]، فقد دمر اسواقاً بكاملها هي سوق العطارين والصيادلة والخزازين والجوهريين واصحاب الدهون [٤]، بالاضافة الى الكثير من القتلى ، كما حدث في حريق سوق الثلاثاء ببغداد ببغداد عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م وراح ضحيته الكثير من الناس [٥].

اما الكوارث الطبيعية ، فكثير ما كانت تسبب الدمار والخراب وبالتالي ارتفاع الاسعار والمجاعة وانتشار الاوبئة ، مما يؤثر بشدة في الوضع الاقتصادي والحالة المعيشية للناس ، ولاسيما البسطاء منهم – كأهل السوق – الذين كانوا يعانون الآمرين

---

(١) ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٤٨ ، ج٧ ، ص٤٧ ،٢٢٢ ، ج٨ ، ص٦٧،١٧٠ ، ج٩ ، ص١١٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ج٤ ، ق١ ، ص١٤٩ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٢٣ .

(٤) الصولي ، اخبار الراضي ، ص٦٨ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٤٠ .

فزلزال دمشق الذي وقع عام ٢٣٣هـ/٨٤٧ م ، دمر العديد من محلاتها ومنها الاسواق التي سقطت على من فيها فقتلتهم[١].

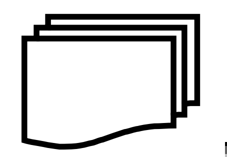
كذلك الرياح الشديدة ، التي تركت هي الاخرى اثاراً سلبية على عموم الناس ولا سيما أهل السوق ، فالريح القوية التي هبت عام ٢٣٤هـ/٨٤٨م دامت اياماً عدة وشملت مناطق مختلفة مثل بغداد والبصرة والكوفة وواسط ، وأدت الى تعطيل الاسواق [٢]، وفي عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م اشتد الغلاء بسبب زيادة كبيرة في هطول الامطار مما ادى الى سقوط العديد من المنازل وتلف المواد [٣].

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٧٧.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٢٧٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٤٧؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٨٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٣٩٩.



١. أثر سوق الوراقة الفكري ودور العلماء الوراقين العلمي

شكلت الاسواق منتديات أدبية ، وبمثابة مجالس علمية عند العرب منذ ماقبل الاسلام. فضلاً عن كونها أماكن للتجارة ، حفلت بالعديد من الانشطة الفكرية ولاسيما الادبية منها كإلقاء الاشعار والخطب وعقد المناظرات [١] ، واستمرت هذه الحالة قائمة طوال عصور الرسالة [٢]، والعصر الراشدي ، والعصر الأموي [٣] .

اما في العصر العباسي ، ونتيجة للازدهار العلمي والتطور الفكري الذي شهدته الامة آنذاك ، برزت مراكز علمية أخذت دورها الفاعل في مجال العلم والفكر ، منها اسواق الوراقة التي حفلت بها بكثرة مختلف المدن العربية الاسلامية ، واضحت مَعْلماً من معالم الفكر العربي الاسلامي الزاهر ولا سيما في هذا العصر ، وهي بطبيعة الحال عُدْت امتداداً للاسواق العربية القديمة التي كانت تنشط في مواسم معينة ، في حين أصبحت هذه الاسواق في العصر العباسي تشهد نشاطاً ثقافياً متنوعا ، وباتت المجالس والحلقات العلمية تعقد يومياً في دكاكين الوراقين [٤] . فلم يكن اصحاب هذه الدكاكين مجرد بائعين او ناسخين للكتب لغرض التكسب والعيش فقط ، بل كانوا يتميزون بحب العلم والسعي في طلبه والاستزادة من العلوم والمعارف عبر القراءة والاطلاع ،بالاضافة الى نسخهم الكتب وبيعها مقابل اجور يسيرة . فأصبحوا فضلاً عن كونهم وراقين ، ادباء وعلماء ، إذ ذكرت الروايات وجود مائة حانوت في سوق الوراقين في بغداد [٥] ، وبرزت منهم شخصيات عديدة ، تميزت بسعة العلم

---

(١) صباغ ، عماد ، الاصناف ، دمشق – ١٩٩٨ ، ص٧٧ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٨ .
(٣) النويري ، نهاية الارب ، ج٢ ، ص١٦١ .
(٤) شلبي ، التربية والتعليم في الفكر الاسلامي ، ط٨ ، القاهرة – ١٩٨٧ ، ص٦٦ .
(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص١٣ .

وتنوعه منهم ابن النديم [١] صاحب كتاب الفهرست الذي يعد من أقدم كتب التراجم وافضلها ، والذي سهل عليه تأليفه لهذا الكتاب كونه وراقاً ، والوراقون أخبر الناس بالكتب وأسمائها وموادها ولا سيما إذا ما توافر لأحدهم الثقافة والعلم والخبرة –كما توفر للنديم –، بدأ النديم يلتقي بالعلماء ويأخذ منهم منذ وقت مبكر لغرض تأليفه كتابه . الأان اتمه شيئاً فشيئاً سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م[٢]. ومن الوراقين أيضاً ابن طفيور[٣]. المؤلف المعروف ، والخطيب البليغ ، صاحب كتاب بغداد وكان كتابه كثير الفائدة ، عظيم الاهمية ،لأن مؤلفه أول من كتب تأريخ مدينة السلام ، وكثيرا مانسخ عنه المؤرخون ولا سيما الطبري في كتابه المسمى تاريخ الرسل والملوك ، والاصفهاني في كتابه الاغاني ، وكان – لأبن طيفور – له مجلس يعقده في سوق الوراقين في الغالب ومجلسه ذو قيمة علمية بالغة الأثر[٤].

وعلى صعيد الشعر ، امتهن العديد من مشاهير الشعراء مهنة الوراقة ، فكانوا يبيعون الكتب ، وفي الوقت نفسه ، شهدت دكاكينهم نظمهم للعديد من بدائع شعرهم وقصائدهم . ومنهم الشاعر الاديب ابو القاسم المحسن بن الحسين بن علي كوجك ، الوراق الشاعر ، الذي اشتهر ببراعته في الشعر والخط [٥] ، ومساور الكوفي [١] الذي

---

(١) ابن النديم : محمد بن اسحاق ، ابي يعقوب النديم ، صاحب كتاب الفهرست ، بغداداي الاصل ، كان وراقاً يبيع الكتب ، توفي سنة ٤٣٨هـ /١٠٤٧م . ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج٥ ، ط١، حيدر اباد ، الدكن – ١٣٣١هـ ، ص٧٢ ؛ الزركلي ، الاعلام، ج٦ ،ص٢٩ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ج١، مقدمة الناشر .

(٣) ابن طيفور : ابو الفضل احمد بن ابي طاهر ، مروررزي الاصل ، ولد سنة ٢٠٤هـ /٨١٩م، صنف الكتب ونظم الشعر ، كان حسن الاخلاق ، ظريف المعاشرة ، توفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٣ ، ص٨٧ .

(٤) ابن طيفور ، بغداد ، ص٦ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٧ ، ص٨٩ .

الذي كان وراقاً وشاعراً . ومن الشعراء الذين صوروا في شعرهم وقائع مهمة ، كالحرب بين الأخوين الامين والمأمون ، عمرو العنزي [٢]إذ كان وراقاً وشاعراً أيضاً ، وقد كان الشاعر بكر بن خارجة [٣]وراقاً أيضاً .

ولم يكن عمل سوق الوراقة –وكما ذكرنا سابقاً –مقتصراً على بيع الكتب ، بل كانت لهذا السوق أبعاداً في الحياة الثقافية ، إذ تحول الى منتدىً للثقافة يلتقي فيه العلماء والادباء ، وتعقد فيه حلقات الدرس ، وكان اكثر بائعي الكتب أدباء أصحاب ثقافة يبتغون اللذة العقلية من وراء هذه الحرفة التي جذبت الى حوانيتهم العلماء والادباء . وكان الاديب ابو العيناء[٤] من الادباء الذين جذبهم سوق الوراقة كثير التردد على الوراقين في سوقهم [٥]. وليس هذا فحسب بل كان من بين الوراقين من هم أدباء ، إذ عمل العديد منهم في هذه المهنة ، لما يحققه لهم هذا العمل من اطلاع

---

(١) مساور الكوفي : بن سوار بن عبد الحميد الكوفي الاصل ، كانت له اخبار واشعار ، عمل بالوراقة ونسخ الكتب ، كما كان راوية للحديث ، توفي سنة ١٥٠هـ /٧٦٧م . الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق : طه الحاجري ، القاهرة – ١٩٤٨ ، ص١٩٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧، ص١٦٧ .

(٢) عمرو العنزي :بن عبد الملك الغنزي ، وراقاً ، اصله من البصرة ن اشتهر ايام الخليفة الرشيد ، توفي نحو ٢٠٠هـ /٨١٥م . ابن الجوزي ، اخبار الظراف والمتماجنين ، تعليق: محمد بحر العلوم ، ط٢ ، النجف – ١٩٦٧ ، ص١٠٩ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٨٥.

(٣) بكر بن خارجة : من أهل الكوفة ، عاش في القرن الثالث الهجري ، مولى لبني اسد ، كان وارقاً ، وشاعراً مليح الشعر ، كان هيشه مقتصراً على التكسب من الوراقة . الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٣ ، ص١٩٧.

(٤) ابو العيناء : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي ، ولد بالاحواز عام ١٩١هـ/٨٠٦م ، ايباً فصيحاً ، اشتهر بنوادره وادبه ، اصله من اليمامة ، توفي بالبصرة عام ٢٨٣هـ /٨٩٦م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٧٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٥٠٤ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٢٢٦ .

(٥) ابن الجوزي ، اخبار الظراف والمتماجنين ، ص٦٩ .

مباشر على العطاءات الجديدة في هذا الميدان الثّر سواء من خلال التأليف او الالتقاء مع بعضهم البعض في المجالس او الندوات التي كانوا يعقدونها في دكاكينهم. ومنهم احمد الخلال الوراق [١]، الذي عُرف عنه انه كان اديباً ووراقاً [٢] ، واللغوي الاديب ابو الحسن الرماني ،كان وراقا أيضاً [٣] .

اما النحويون ، فقد عمل الكثير منهم بمهنة الوراقة ، لكونها تلبي غايتهم العلمية فضلاً عن اتخاذها حرفة للتكسب والعيش ،فمنهم على سبيل المثال لا الحصر النحوي المعروف ابو عبد الله النحوي الوراق[٤]، عارفاً بالنحو واللغة الى جانب عمله كوراق في سوق الوراقين ، واشتهر العالم الجليل ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) الفقيه والنحوي والمنطقي ، بالعمل في الوراقة كحرفة يتكسب منها الى جانب نسخ الكتب التي تزيده اتساعاً وتبحراً في اللغة [٥] ، ومن النحويين الذين ساروا على نهج سلفه النحوي ابو الحسن الوراق [٦].

---

(١) احمد الخلال : احمد بن محمد بن الحسن الخلال وراق ، اديباً عاش في القرن ٤هـ/١٠م ، تميز بجمال الخط والضبط الجيد للكلمات . ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ج٤ ، ص٢٦٤.

(٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص٢٦٤ .

(٣) ابو الحسن الوراق : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ، ولد سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م، كان أماماً في علم العربية ، علامة في الادب ، توفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م في خلافة القادر بالله . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٤ ، ص٧٣.

(٤) ابو عبد الله النحوي الوراق :اشتهر بخطه الجميل ونقله الدقيق للكلمات ، كان وراقاً وعالماً باللغة والنحو ، توفي سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م . السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مج١ ، بيروت – لا . ت ، ص١٤٤ .

(٥) ابن الوردي ، زين الدين عمر ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ ، النجف – ١٩٦٩ ، ص٤٢٠ .

(٦) ابو الحسن الوراق : محمد بن عبد الله ، عالم بالنحو وعلله ، صنف عدة كتب ، كان من أهل أهل بغداد ، توفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م . القفطي ، جمال الدين ابو الحسن ،انباه الرواة على انباه النحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ج١، القاهرة – ١٩٥٠ ،ص١٦٥.

ولابد من التنويه هنا الى نقطة مهمة ، وهي امتهان بعض الاطباء مهنة الوراقة والنسخ أيضاً ، فقد عرف عن العلامة الجليل ابن الهيثم [١]عمله بالوراقة ، كان ينسخ كتب الاوائل وبالذات من العلماء اليونان ككتب ارسطو[٢]، اما العلامة والفيلسوف وامام عصره الرازي[٣] الطبيب المعروف ، فهو الآخر يعمل في الوراقة ولا سيما النساخة ، حتى قيل انه كان لا يرى الا وهو اما يسود او يبيض شيئا ، حتى ضعف بصره وفقده في أواخر أيامه[٤] .

اما الوراقون من أصحاب الحديث فالقائمة عامرة بأسماء العديد من اللامعين منهم فقد كان ابو بكر القرشي[٥] وراقاً وراوية للحديث تميز بخطه الجميل ، واشتهر بهذه الصفة [٦] . الوراق المحدث اسحاق بن ابراهيم بن يونس البغدادي[١].

---

(١) ابن الهيثم : محمد بن الحسين ، ابو علي ، عالم جليل ومهندس موهوب ، من أهل البصرة، ولد سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م ، لقب بطليموس الثاني ، كان خبيراً باصول الطب ،انقطع الى التصنيف الى ان توفي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م . ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج٣ ، بيروت – ١٩٥٧ ، ص١٥٩ ؛ الزركلي ، الاعلام، ج ٦، ص٨٣ .

(٢) ارسطو : فيلسوف يوناني ، ولد سنة ٣٨٤ق .م ، تتلمذ على يد افلاطون ، وعلم الاسكندر الاكبر ، له مؤلفات في المنطق والعلم الطبعي والاخلاق والسياسة والخطابة والشعر ، لقب بالمعلم الاول ، توفي سنة ٣٢٢ق . م .غربال ، الموسوعة العربية ،مج ١، ص١١٧.

(٣) الرازي : ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، من علماء الامة الافذاذ في معرفة العلوم القديمة وخاصة الطب ، محمود السجايا ، كريماً ، توفي نحو ٢٩٠هـ/٩٠٢م . ابن النديم ، الفهرست ، ج٧ ، ص٢٩٩ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ج٧ ، ص٢٩٩ .

(٥) ابو بكر القريشي : احمد بن محمد بن سعيد بن عبيد الله ، ولد سنة ٢٧١هـ /٨٨٤م ، كان من أهل الحديث ، ثقة ، عمل بالوراقة ، توفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص٢٣٨ .

(٦) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص٢٣٨ .

والوراق ابو جعفر العجلي[٢] وكان من أهل الحديث ، وابو بشر الدولابي[٣] وكان وراقاً ، ومؤرخاً ومحدثاً معروفاً [٤] كذلك حمدان الوراق [٥]؛ كان عالماً حافظاً مجوداً بالحديث . ومن الوراقين من كان يحدث لقاء اجر كأبن لؤلؤ [٦]، ومنهم من كان يكتب الحديث كالوراق ابو بكر البغدادي[٧] الذي اشتهر بالرحلة الى شتى الانحاء في طلبه وسماعه [٨].

---

(١) اسحاق بن ابراهيم : ابو يعقوب بن يونس البغدادي، المعروف بالمنجنيقي ،كان حافظاً ثقة ، اصله من بغداد ، اسنقر بمصر ومات فيها سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م .حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، صححه : محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بليكه الكليس ، مج ٢ ، استنبول – ١٩٤١ ، ص٩١٤ ؛ الزركلي ، الاعلام، ج١ ، ص٢٩٣ .

(٢) ابو جعفر العجلي :محمد بن عثمان بن كرامة ، قدم بغداد وحدث بها ، كان صدوقاً ، توفي بالكوفة سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م ، وقيل ببغداد سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص٤٠ .

(٣) ابو بشر الدولابي : محمد بن احمد بن حماد بن سعد بن مسلم ، الانصاري ، الرازي ، الوراق ، سكن الري ، رحل في طلب الحديث ، واستقر بمصر ، توفي في طريقه الى الحج بين مكة والمدينة سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٤٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٣٠٨ .

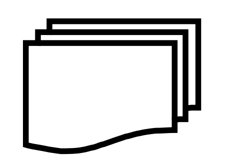
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٤٥ .

(٥) حمدان الوراق :محمد بن علي بن عبد الله بن مهران البغدادي الوراق ، كان فاضلاً ، ثقة، سمع الحديث ، مشهور له بالصلاح والفضل ، توفي سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٤٩ .

(٦) ابن لؤلؤ : الحسن بن علي بن محمد بن احمد بن نصير الثقفي البغدادي ، رواية للحديث ثقة، توفي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م . الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٤ .

(٧) ابو بكر البغدادي :عنذر بن محمد بن جعفر البغدادي ، الوراق الثقة ، كان رحالاً جوالاً ، سمع الكثير ببلاد فارس وخراسان والشام والعراق ومصر والجزيرة ، كانت وفاته بخراسان سنة ٣٧٠هـ /٩٨٠م . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٧٣ .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٢٩٧ .



٢. دكاكين الوراقين واثرها في تطوير الحركة الفكرية

لم يكتفي الكثير من الوراقين بكونهم ادباء وعلماء ، بل جعلوا من دكاكينهم منتديات ادبية وعلمية يلتقي فيها الشعراء والادباء والعلماء .

فهذا ابن الجوزي يصف سوق الوراقين بأنه((**مجالس العلماء والشعراء**))[١] اذ كان العلماء والادباء والشعراء يتجمعون هناك ، ويطرحون في مجالسهم العلمية هذه العديد من الاراء والافكار ويتناقشون فيها . وغالباً ما كانت هذه المجالس مفتوحة لمن يريد حضورها ، فيشارك الجميع في المجادلة والمناظرة[٢]. ومن الوراقين الذين جعلوا من دكاكينهم اماكن لتجمع الادباء والعلماء ، سعد الوراق .كان وراقاً شاعراً بالرها جمع دكانه الكثير من الادباء والشعراء من الشام ومصر ، ولشهرة مجلسه العلمي استقطب دكانه ، نوعا اخر من الحضور ، كانوا يحضرون للاستماع بالمناقشات والاشعار ، كأولاد التجار هناك ، بل ان بعضهم أصبح ملازماً له لهذا الغرض [٣].

ومن المجالس الادبية التي ضمتها دكاكين الوراقة والبصمات الراقية التي تركتها في تطوير مسيرة الحركة الادبية في العصور الاسلامية الوسيطة ، تلك التي كانت تُعقد بين ابي نصر الزجاج اللغوي مع ابي الفرج الاصفهاني[٤] صاحب كتاب الاغاني الاغاني في دكان بسوق الوراقين وهودكان ابو الفتح بن الحراز الوراق الذي كان يلتقي

---

(١) مناقب بغداد ، ص٢٦ .

(٢) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٤٠٩ ؛ الطيباوي ، عبد اللطيف ، محاضرات في تاريخ العرب العرب والاسلام ، ج١ ، بيروت – ١٩٦٣ ، ص٣٦ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص١١٦ .

(٤) ابو الفرج الاصفهاني : علي بن الحسين ، ينحدر من نسل مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين ، اديب شاعر نحوي ، مولده في اصفهان عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م ، نشأ ببغداد ، صنف العديد من الكتب ، توفي سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٣ ، ص٩٤ ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ،مطبعة الترقي ، دمشق – ١٩٥٩ ج٧ ، ص٧٨ .

عنده أيضاً الشاعر ابو الحسين علي بن يوسف بن البقال [١]. وكثيراً ما كان الشاعر ابو العتاهية [٢] يتردد على سوق الوراقين متخذا من دكان احدهم مجلساً له [٣]، كما كان الاديب العلامة الجاحظ[٤] **((يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر))** [٥]، لكثرة حبه للكتب والعلوم ، لذا عرف عنه انه كان يقرأ كل كتاب يحصل عليه .

من هنا باتت دكاكين الوراقين بمثابة نواد لآلتقاء رجال العلم والفكر والادب، وشكلت نواة مهمة لنشر الثقافة والعلم في مختلف المدن العربية الاسلامية ، ومكانا لنسخ الكتب ونشرها وتوزيعها في شتى الانحاء ، من هنا شكلت احد روافد انتشار الثقافة العربية الاسلامية [٦].

ومن الاسباب المهمة التي ساعدت على ازدهار الحركة الفكرية عموماً ، ونشاط اسواق الوراقة خاصة انتشار صناعة الورق والتحسينات المهمة التي ادخلها الفكر

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٣ ، ص١١٢ .

(٢) ابو العتاهية : اسماعيل بن القاسم العنزي ، ولد سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م ، شاعر مبدع سريع الخاطر نشأ بالكوفة ، احترف بيع الخزف ، اكثر شعره في اخر ايامه في الزهد ، توفي سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م . الثعالبي ، المنتحل ، تصحيح : احمد ابو علي ، الاسكندرية – ١٩٠١ ، ص٣٠٤ ؛ ضيف ، شوقي ، الفن ومذهبه في الشعر العربي ، ط٧ ، مصر – ١٩٦٩ ، ص١٦٤ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج١ ، ص٣٢١ .

(٣) ابن المعتز ، عبد الله بن المعنز بن الخليفة المتوكل بن المعتصم ، طبقات الشعراء ، تحقيق: عبد الستار فراج ، ط٤ ، القاهرة – ١٩٥٦ ، ص٢٠ ؛ القيرواني ، ابو اسحاق ابراهيم ، زهر الاداب وثمر الألباب ، ج٢ ، بيروت – لا. ت ، ص٣٨٧ .

(٤) الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري ، عالم مشارك في انواع من العلوم واديب موهوب ، تلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد ، ولد بالبصرة سنة ١٥٠هـ /٨٦٧م ، اقام ببغداد ، من ابرز تصانيفه الحيوان ، البيان والتبيين ، توفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٦ ، ص٧٤ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين، ج٨ ، ص٧ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٦ ، ص٧٥ .

(٦) مصطفى ، المدن ، ج٢، ص٦٩٢ .

العربي الاسلامي عليه . فالورق صناعة صينية أصلاً عرف منذ القرن الاول للميلاد ، وصنع من قشور أشجار التوت التي كانت تكثر لديهم ، فعمت هذه الصناعة في بلاد الصين وانتفع أهلها بها [١].

وكان اول ظهور الورق في الاسلام في سمرقند نتيجة لوقوع بعض الاسرى الصينيين بيد المسلمين أثر المعركة التي انتصر فيها الجيش العربي الاسلامي بقيادة الامير زياد بن صالح[٢] على الجيش الصيني ، وهي معركة تالاس[٣] ، في العام ١٣٤هـ/٧٥١م وكان بعض هؤلاء الاسرى على معرفة بصناعة الورق فنقلوها للعرب الذين تعلموها بسرعة وادخلوا عليها تحسينات ممتازة أوجدت منه ورقاً ناعماً صقيلاً ابيض لماعاً سمي بالكاغد ، وسرعان ما أنتشرت معامل صناعته في اواسط أسيا وبلاد فارس وبغداد ومكة المكرمة [٤] وغيرها من الامصار . وانتشر استعمال الورق لسهولته ورخص ثمنه ، قياساً الى مواد الكتابة السابقة الأخرى ، فأستخدم بكثرة من قبل الكتاب وسائر موظفي الدولة والعلماء والنساخ وطلاب العلم . وأدرك الخلفاء العباسيون أهميته ، لذا أمروا بالتوسع في انشاء معامل صناعته ، كالذي فعله الخليفة

---

(١) الصيني : بدر الدين حي ، العلاقات بين العرب والصين ، ط١ ، القاهرة – ١٩٥٠ ، ص٢٤٥.

(٢) زياد بن صالح الحارثي : كان والي الكوفة عند قيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م لكنه خرج على العباسيين في بلاد ما وراء النهر فقتل سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م . الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص٢١٨ ، هامش ٤ .

(٣) وهي المعركة الفاصلة بين العرب والصين وكان قائد القوات الصينية كاوشيان كي ، وسببها ان الصينين سيطروا على مدينة سوياب ، ثم قتلوا حاكم مدينة الشاش سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، وكان طمع الصينين في وضع يدهم على الشاش هو الذي دفعهم للاصطدام مع القوات العربية الاسلامية فخسروا الموقعة عند وادي تالاس ، وكان ابن حاكم الشاش القتيل قد طلب المساعدة من العرب بدلاً من الخضوع لحكم الصين ، الصيني ، العلاقات ، ص٣٤ .

(٤) الصيني ، العلاقات ، ص٢٤٣.

ابو جعفر المنصور[١] فظهرت اول مصانع الورق في العصر العباسي في سمرقند[٢] ، فكان هذا احد اهم العوامل التي اسهمت في تنشيط النهضة العلمية ، إذ سهل نسخ الكتب ونقلها وسهولة الحصول عليها بين عدد كبير من الناس، إذ كانت الكتابة قبل ذلك تتم على الجلود والبردي والقراطيس ثم الورق [٣].

وكان من نتائج تقدم صناعة الورق ان ازدهر عمل الوراقين الذين اتخذوا من محلاتهم اماكن للدراسة والبحث والمناقشة . كما كثرت المكتبات التي زخرت بشتى الكتب في مختلف العلوم والمعارف كالكتب الدينية والعلمية و الادبية ، وقد اصبحت هذه المكتبات فيما بعد من اهم مراكز الثقافة العربية الاسلامية[٤] .

وفي بعض الاحيان كان الخلفاء يتدخلون في عمل الوراقين وفي نوعية الكتب التي يبيعونها كجزء من سياسة الدولة فعندما تولى المعتضد بالله الخلافة منع الوراقين من بيع الكتب الفلسفية [٥] وماشابهها ، سبقه الخليفة المعتمد في اتخاذ الاجراء نفسه لما اعتقدته الدولة من تأثير هذه الكتب في عقول العامة وبسطاء الناس، وهذا يدل على انتشار القراءة وكثرة القراء في ذلك الوقت وخوف ادارة الدولة على القارئ البسيط مما هو موجود في هذه الكتب من آراء وافكار .

تميز الوراقون بحبهم الشديد لمهنتهم والتعلق بها ، فقد سأل احدهم يوماً عما يتمناه ، فأجاب ((**قلما مشاقا ، وحبراً براقا ، وجلودا واوراقا**)) [٦]، على الرغم من ان كسبهم المادي من هذه المهنة كان قليلاً . فقد سأل احد الوراقين عن حاله فكان

---

(١) قاشا ، سهيل ، الحبر وادوات الكتابة في التراث العربي ، مجلة التراث الشعبي ، ع٥ ، بغداد – ١٩٧٨ ، ص١٠ .

(٢) الاطرقجي ، الحياة الاجتماعية ، ص٢٣٠ .

(٣) امين ، ظهر الاسلام ، ط٣ ، القاهرة – ١٩٦٢، ج٢ ، ص٢٢٢ .

(٤) ابو الخشب ، ابراهيم علي ، تاريخ الادب العربي ، دار الفكر العربي – لا . ت ، ص١٣٤.

(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٧٠ .

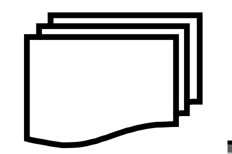
(٦) العباسي ، معاهد التنصيص ، ج٢ ، ص١٤١ .

جوابه معبراً ومشتقا من مفردات مهنته فقال : **((عيشي اضيق من محبرة وجسمي ادق من مسطرة ، وجاهي ارق من الزجاج ووجهي عند الناس اشد سوادا من الحبر بالزاج وحظي اخفى من شق القلم ويداي اضعف من قصبة وطعامي امر من العفص وشرابي احر من الحبر وسوء الحال الزم لي من الصمغ))** [1]. ومع المبالغة الواضحة في الاوصاف الواردة في النص السابق لكنه من ناحية أخرى يشير الى ان هذه المهنة لم تكن تدر عائداً مادياً عالياً ، ومع ذلك، رضى الوراقون بعملهم هذا وتمسكوا به لحبهم الكبير للعلم . ولم ينسَ الوراقون واجبهم الديني اتجاه غيرهم ، فكانوا يتصدقون على الفقراء من عملهم هذا [2] فالصدقة سنة واجبة على المسلم .

---

(١) القيرواني ، زهر الادب ، ج٢ ، ص٥٥٥ .

(٢) ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢ ، ص٩ ؛ سعد ، العامة ، ص١٥٨ .



٣. رعاية أهل الاسواق للعلم والفكر

لم يقتصر النشاط العلمي والادبي في الدكاكين على سوق الوراقين فقط ، بل تعداه الى غيره من الاسواق ومحلات البيع والشراء حيث الدكاكين الكثيرة . فقد كان اغلب اصحاب هذه المحلات من المهتمين بالعلم والعلماء ، حتى ان بعض العلماء كانوا يترددون عليهم مثلما كانوا يترددون على سوق الوراقة ومنهم الجاحظ [١]. إذ تميز بعض أهل السوق من اصحاب هذه الدكاكين أنهم رجال علم وأدب ودين . فبالنسبة للعلوم الدينية ، عمل الكثير من المحدثين في السوق في حرف مختلفة ، فمنهم القطان والبزاز والخياط والقصاب والعديد من المهن الأخرى . فمن القطانين محمد القطان [٢] الذي كان من المحدثين ، وأيضاً القطان الديرعاقولي[٣] .

ولم يقتصر أصحاب الحديث على العمل في المهن السابقة فقط ، بل انهم احترفوا مهناً عديدة أخرى ، كما في صناعة وبيع الاحذية ، فمنهم ابو القاسم الحذاء [٤] الذي كان يعد من القراء الامناء الثقاة [٥].

---

(١) ابن الجوزي ، اخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق : علي الخاقاني ، ط٢ ، بغداد – ١٩٦٦ ، ص٢٢٥ .

(٢) محمد القطان : بن احمد بن شاكر ، من أهل الحديث ، ويعمل قطان ، جمع ما انتهى اليه من فضائل الامام الشافعي ، توفي سنة ٤٠٧هـ /١٠١٦م . السبكي ، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٣ ، ط١ ، مصر – لا . ت ، ص٣٨.

(٣) الدير عاقولي : الامام الحافظ عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران الدير عاقولي البغدادي ، ولد سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م ، كان قطاناً ، كتب الحديث وكان ثقة مأمون ، توفي سنة ٢٧٨هـ /٨٩١م . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٣٣٥ .

(٤) ابو القاسم الحذاء : منصور بن الحسين ، كان ثقة ، توفي سنة ٣٦٢هـ /٨٥٠م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٨٤ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٨٤ .

ولابد من التنويه الى أن ليس كل من لقب بمهنة كان يعمل بها حتماً ، فمثلاً المحدث ابة المبارك المعروف بخالد الحذاء[١] لم يعمل بهذه المهنة على الرغم من لقبه هذا ، وسبب التسمية كما يروى انه كان يقول : **((احذُ عني هذا الحديث))**[٢]، فلقب بالحذاء ، فضلا عن انه كان كثير الجلوس الى الحذائين [٣]، وهذا قد يوضح سبب لقبه .

اما في مهنة الخياطة ، فقد كان لأصحاب الحديث المجال نفسه اذ عمل العديد منهم فيها ، مثل ابو خلف الخياط [٤] الذي كان من اصحاب الحديث ، كذلك ابو عمرو الخياط [٥] صاحب السنن .

وفي مهنة الغزل ، ظهر العديد من المحدثين والزهاد المعروفين الذين برعوا بهذه المهنة أيضاً واتخذوا منها وسيلة للعيش . منهم الزاهد المعروف بشر الحافي[٦]

---

(١) خالد الحذاء : بن مهران ، من أهل الحديث ، توفي ١٤١هـ/ ٧٥٨م . ابن قتيبة ، المعارف، ص٥٠١ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٠١ .

(٣) ن . م ، ص٥٠١ .

(٤) ابو خلف الخياط :مطروح بن قيس الخياط ، من اصحاب الحديث ، كان رجلاً فاضلاً عابداً ، توفي ٢٤٦هـ/٨٦٠م . المالكي ، رياض النفوس ، ج١ ، ص٣١٥ ، ج٢ ، ص٧١، هامش (١) .

(٥) ابو عمر الخياط : سهل بن زنجله الرازي الخياط الاشتر ، له تصانيف ، رحل في طلب الحديث ، لم يكن في وقته من هو افضل منه ، توفي نحو ٢٣٥هـ/٨٥٠م . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٢ ، ص٤٥٢ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص١٤٢.

(٦) بشر الحافي : ابو نصر بشر بن الحرث المروزي ، كان زاهداً ، يعمل المغازل ويعيش منها ، توفي سنة ٢٢٧هـ /٨٤١م في بغداد . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٦٠.

الذي كان يعيش على ماتدره هذه المهنة عليه [١]، ومن الغزالين أيضاً ابو القاسم المقريء [٢]، هذا بالاضافة الى العديد من الغزالين الذين كانوا من المحدثين [٣].

وحتى الخبازين ، فالكثير منهم كانوا من أهل الحديث ، فمن ذلك على سبيل المثال عبد الرحمن بن احمد[٤]كان خبازا، الى جانب كونه محدثاً ذا شأن [٥].

اما مهنة البزازة ، فقد حظيت بالنصيب الأوفر من المحدثين الذين عملوا بها لكسب عيشهم واعالة عوائلهم . فهي تعد من المهن التي لاتحتاج الى جهد كبير ، الى جانب أنها توفر لأصحابها وقت فراغ اكثر من المهن الأخرى التي تتطلب عملاً يدويا متواصلاً كالخبازة والخياطة ، لذا استطاعوا تطوير معارفهم واكتساب المزيد من العلوم والمعارف في الحقل الذي برعوا به . فمنهم ابو بكر البزاز [٦] الذي

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٦٠.

(٢) ابو القاسم المقري:ابن علي بن حبيش،المعروف بالغزال،ولد سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، شيخاً ،صالحاً ثقة من أهل الحديث،توفي ٤٣٠هـ/١٠٣٨م.ابن الجوزي،المنتظم،ج٨،ص١٠٢.

(٣) و للمزيد من التفاصيل حول الغزالون من اصحاب الحديث ، ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص٥٩ ،٨٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٣٧ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص١٠٨ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٢ ، ص٥٥٤ .

(٤) عبد الرحمن بن احمد : بن ابراهيم ، ابو القاسم الخباز ، من أهل الحديث ، وهو من منطقة قزوين ، توفي ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٣٠٣ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٢٠٣ .

(٦) ابو بكر البزاز : احمد بن ابراهيم بن الحسن بن شاذان ، الحافظ ، البغدادي ، كان ثبتاً صحيح السماع ، توفي سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م عن عمر ٨٦ سنة . ابن الاثير ، الكامل ، ج٧، ص١٦٣ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٢٢ .

اشتهر بروايته للحديث ، فضلاً عن تجارته بالاقمشة مع مصر [١] ، كما كان (مسند العراق) ابو طالب بن غيلان [٢]بزازاً وله احاديث مشهورة سماها (الغيلانيات) [٣]. اما الزياتون فأشهرهم حمزة الزيات [٤] الذي كان يتاجر بالزيت فيأخذه من الكوفة الى حلوان ويجلب معه الجبن والجوز الى الكوفة فقيل له الزيات [٥]، اشتهر بمجلسه العلمي مع الكسائي[٦]. وهناك الكثير من المحدثين المحدثين ممن عملوا بهذه المهنة [٧].

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص١٠٤.

(٢) ابو طالب بن غيلان : محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزاز ،ولد سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، وكانت له احاديث عالية الاسناد ، توفي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٩. الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص١٩٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٢١.

(٣) الصفدي ، صلاح الدين خليل ،الوافي بالوفيات ، ج١، طهران – ١٩٦١ ، ص١١٩ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٢٦٥.

(٤) حمزة الزيات : حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الزيات التميمي من أهل الكوفة ، كان احد القراء السبعة ، وكان صاحب سنة وفرائض ، ولد سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م ، توفي سنة ١٥٦هـ /٧٧٣م . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٢٩ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ج١ ، ص٢٩ ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج٣ ، ص١٥٦ ؛ ابو الفدا ، المختصر ، ج٢ ، ص٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص٢٧٧ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٠ ، ص٢٨٩ .

(٦) الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن ، مجالس العلماء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة والرياض – ١٩٨٣ ، ص٢٠٣ .

(٧) للمزيد من التفاصيل حول الزياتين من أهل الحديث ، ينظر : ابو الفدا ، المختصر ، ج٢، ص٣٥ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ، ج١ ، ص٣٠٦ .

وعُرف عن بعض البقالين انهم من اصحاب الحديث أيضاً ، منهم ابو نصر العُكبري [١]، إذ كان بقالاً لم يمنعه عمله هذا من تطوير معارفه فكان راوياً للحديث، واشتهر بأنه عدل ثقة [٢].

ومن المحدثين من صار نساجاً كأبي القاسم النساج الذي كان مستقراً بمدينة واسط ، وعاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري[٣]. ومن السراجين ابو بكر بكر السراج [٤]، كان راوياً للحديث حسناً . وعمل بعض المحدثين ببيع الكرابيس[٥]، كمحمد بن أحمد بن اسحاق النيسابوري الذي يعد أحد أئمة الحديث ، وصاحب التصانيف المشهورة ولي القضاء ثم لزم بعدها مسجده في نيسابور ، حتى وافاه الاجل في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م[٦].

وحتى الطحانيين كان عدد كبير منهم من أهل الحديث. فهذا عبد الباقي بن محمد[٧]صار طحاناً ، ويُعد من ثقاة أهل الحديث [٨]. ومن الخزازين ، اشتهر فقيه

---

(١) ابو نصر العكبري : محمد بن الحسين البقال ، كان من أهل الحديث ، ثقة ، توفي سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩ . الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص١٣٨ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص١١٦ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص٩٥ .

(٤) ابو بكر السراج : احمد بن سهل ، النيسابوري ، ولد سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م ، توفي سنة ٤٩١هـ/ ١٠٢٩م . السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٣ ، ص٧ .

(٥) الكرابيس : هي الثياب الغليظة ، واحدها كرباس بكسر الكاف ، فكان كل من يبيعها ينسب اليها . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص١٢٣ .

(٦) الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٩ .

(٧) عبد الباقي بن محمد بن احمد بن زكريا ، ابو القاسم الطحان ، سكن الطحانين وهي ناحية بباب الطاق ولد سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ، وتوفي سنة٤٣٢هـ/١٠٤٠م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١١ ، ص٩٠ .

(٨) الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص١٧٧ .

العراق ابو حنيفة [١] العابد الزاهد المجاهد امام اصحاب الرأي بكونه خزازا يعما في السوق ، عرف عنه جلوسه في السوق وعمله بالتجارة أيضاً ، وهذا الامر اكسبه خبرة عظيمة افادته في التفقه والتبحر في معاملات البيع والشراء[٢]، وكان لايقبل مالاً او هدايا من رجال الدولة بل ينفق من كسب يده[٣]، إذ نشأ في عائلة تجل العمل العمل وتحترمه ، فوالده كان نجاراً [٤].

اما شيخ الصوفية الجنيد [٥]فكان خزازاً أيضاً ، وله مجلس علمي يعقد في حانوته الذي كان في السوق ، اذ كان شيخ عصره وفريد زمانه ، وأراءه في التصوف مهمة ومشهورة [٦]، وسمي بالقواريري أيضاً لأن اباه اشتهر بعمل القوارير[٧].

ومن الجدير بالذكر ان بعض المحدثين عملوا بالصيرفة إذ كان الحافظ ابو بكر احمد بن عبدان الشيرازي صيرفياً ومن كبار المحدثين ، توفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م[١]

---

(١) ابو حنيفة : النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقية ، ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م ، سمع الحديث من العديد من مشاهير رواته فروى عنهم ، جمع بين العلم والفقه والورع ، هو من أهل الكوفة ، الا انه انتقل الى بغداد بناءاً على طلب الخليفة المنصور فأقام بها حتى توفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٩٥ . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٣٢٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٤٠٥ ، الغزنوي ، ابو الحسن علي بن عثمان ، كشف المحجوب ، صححه : والنتين زوكوفسكي ، امير كبير – ١٣٣٦هـ ، ص١١٣ .

(٢) حسن ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٣١ .

(٣) اليافعي: ابو محمد عبد الله بن سعد ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يغير من حوادث الزمان ، ج١ ، بيروت – ١٩٧٠ ، ص٣٠٩ .

(٤) وكيع ، اخبار القضاة ، ج٢ ، ص١٦٧ .

(٥) الجنيد : ابو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز القواريري ، الزاهد المشهور ن اصله من نهاوند ، مولده ومنشؤه في بغداد ، توفي سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م . ابن الجوزي ، صفوة الصفوة، ج٢ ، ص٤١٦ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٣٧٣ .

(٧) ن ، م ، ج١ ، ص٣٧٣ .

كذلك بسام بن عبد الله الاسدي الكوفي ، الذي عمل بالصيرفة ، وهو من اصحاب الحديث أيضاً [٢].

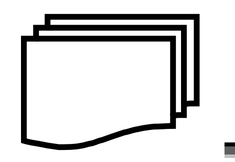
وفي مهنة الصياغة ، اشتهر جعفر بن محمد بن شاكر الذي اتصف بالزهد والورع والثقة ، كان صائغا، ومن أهل الحديث ، توفي عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م[٣].

لم تقتصر مشاركة أهل السوق في الحياة الثقافية على أهل المهن الفعلية من اصحاب الدكاكين في الاسواق ، كما مر بنا ، بل شمل ذلك حتى التجار ، فعلى الرغم من انشغالهم بتجارتهم ، اسهموا في الحياة الثقافية شأنهم في ذلك شأن غيرهم من أهل السوق . إذ كان الكثير من مشاهير التجار من أصحاب الحديث كأبي جعفر، محمد بن محمد بن عبد الله بن خالد التاجر البغدادي ، الذي طلب العلم وسمع العديد من الشيوخ الكبار عبر أسفاره ، ورحلاته التجارية ، ووصف انه صحح السماع ، سمع منه العديد من الطلاب الذين اصبحوا لاحقاً من شيوخ الحديث المعروفين ، قدم خراسان فنزل نيسابور ثم مضى الى سمرقند ، ورحل الى مصر والشام وسكن الري ، وكان صاحب جمال فلقب بالجمال ، توفي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م [٤]. وسمي بكر بن ابي عبد الله الربعي بالدستوائي لكونه يتاجر في الملابس التي يأتي بها من دستواء وهي أحدى كور الاحواز ، فضلاً عن كونه من اصحاب الحديث ، الثقات ، توفي سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م [٥] .

ومن جانب أخر كان التجار من رواد المجالس العلمية يشاركون في المناقشة والمناظرة في شتى مجالات العلم والمعرفة . إذ ذكر ابو علي المحسن التنوخي انه

---

(١) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٢ ، ص٤٣٥.
(٢) البخاري ، الصحيح ، ج١ ، ق٢ ، ص١٤٤ .
(٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص١٧٤ .
(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٨٦ .
(٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص١٦٢ .



شاهد أحد التجار وهو ابو جعفر الضُبي الفقيه الحنفي يحضر مجلس ابيه للمناقشة والمناظرة في العديد من المسائل والامور الدينية [١].

ومن المهم الاشارة ، الى ان عمل المحدثين لم يقتصر على المهن السابقة، بل مارسوا اعمالا تمس السلامة والصحة العامة ، منها مهنة الصيدلة ، إذ كان ابو زرعة البنا [٢]صيدلانياً عارفاً بالعلل والامراض ، فضلاً عن كونه من ثقاة المحدثين [٣].

ومن المهن الأخرى التي عمل بها المحدثون ، والتي كان الناس في حاجة يومية لها ، مهنة العطارة ، فمنهم العطار الحسين بن احمد[٤] إذ كان من أهل الحديث .

وكان كبير فقهاء الشافعية ابا القاسم [٥]، يبيع البسط والوسائد فلقب بالانماطي – لأن الانماط هي البسط على تسمية أهل مصر – وكان له اثر كبير في توجيه الناس لقراءة كتب الامام الشافعي[٦] .

ومن القضاة الفقهاء الذين عملوا بالسوق ، القاضي اللؤلؤي [٧]، إذ كان فقيها من أصحاب الامام ابي حنيفة ، بالاضافة الى عمله وهو بيع اللؤلؤ[١] ، من ناحية

---

(١) نشوار المحاضرة ، ج٣ ، ص٨٧ .

(٢) ابو زرعة : عبيد الله بن عثمان بن علي بن محمد ، ولد سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ، كان صيدلانياً ، من أهل الحديث الموثوق بهم ، كف بصره اخر ايامه ، توفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٣٧٩ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٢٤١ .

(٤) الحسين بن احمد : بن سفيان ابو علي العطار له دكان في سوق العطارين، كان من أهل الحديث،صدوقاً ، توفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م.الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد،ج٨،ص١٦.

(٥) ابا القاسم : عثمان بن سعيد بن بشار الاحول الانماطي ، توفي سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص٢٤١ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص٢٤١ .

(٧) القاضي اللؤلؤي : الحسن بن زياد ، الكوفي ، ولي القضاء بالكوفة سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م ، ثم استقر ببغداد ، توفي سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م . ابن النديم ، الفهرست ، ج٦ ، ص٢٥٨ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص١٩١ .

أخرى ، لابد من الاشارة الى نقطة مهمة فالمشاركة في تنشيط الحركة الفكرية لم تقتصر على أهل السوق من ذوي المهن ، بل شملت أيضاً المسؤولين على السوق . فأغلب من تولوا الحسبة كانوا من الفقهاء والمحدثين ، منهم عمر بن الحسين بن علي الشيباني الملقب بأبن الاشناني وهو من حفاظ الحديث ، تولى حسبة بغداد عام ٣١٠هـ/٩٢٢م ، ثم ولاه الخليفة المقتدر القضاء فيما بعد(٢). وتولى ابو عبد الرحمن الاحول (٣) الحسبة في الكوفة ، وهو من رواة الحديث ، كما تولى القضاء بالمدائن في خلافة ابي جعفر المنصور(٤) ، وكان أمام أهل المدينة نافع بن عبد الرحمن مقريء (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م) محتسباً (٥) . وامام جامع الرصافة عبد الله بن علي بن الحسن، ابو العباس الهاشمي (ت:٢٨٤هـ/٨٩٧م) والياً على الحسبة في بغداد (٦) .

ولاعجب ان يكون الكثير من المحتسبين من حفظة القرآن وأهل الحديث لحاجتهم الى هذه العلوم في عملهم . ذلك أن من أهم شروط اختيار المحتسب ان يكون عارفا بأحكام الشريعة خالص النية ، عفيفاً عن اموال الناس ، وان يتصف بالرفق وطلاقة الوجه وحسن الاخلاق ، عازفا عن المجاملات او قبول الهدايا (٧)، وان

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ج٦ ، ص٢٥٨ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٤٥ .
(٣) ابو عبد الرحمن : عاصم بن سليمان الاحول ، والي الحسبة ، تولى القضاء أيضاً ، توفي سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م . ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج٣ ، ص٣٠١ .
(٤) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج٣ ، ص٣٠١ .
(٥) ابو الفدا ، المختصر ، ج٢ ، ص١٢ .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٧٨ .
(٧) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦ – ١٠ .

يكون ذا تجربة وحنكة وحصانة وعلم ومعرفة [١] ، وان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر [٢] .

أن أهل السوق ممن عرف بالعلم والورع اهتموا بتنشئة ابناءهم نشأة علمية رصينة . إذ كان فقيه العراق في القرن ٥ هـ/١١م ، ابو نصر الشافعي البغدادي[٣] وهو ابن لأحد رجال السوق ، وكان ابوه صباغاً ، لكنه اهتم بتوجيهه وتعليمه حتى انه عرف بأبن الصباغ [٤].

ومثلما برع العديد من أهل السوق بالعلوم الدينية ، فقد كانوا محدثين وفقهاء وقراء ، إذ برعوا أيضاً في العلوم الأخرى ، وحضيت علوم اللغة العربية بأهتمام كبير من لدن الكثير من اصحاب المهن ، فكان منهم الشاعر النحوي والاديب والمصنف .

و برع الكثير من اصحاب المهن بالشعر ، حتى أنهم جعلوا دكاكينهم مكاناً للتجمع وانشاد الشعر [٥] . بل ان بعض الاسواق تحولت الى مايشبه المدارس . فسوق المربد أصبح مثلاً بمثابة مدرسة يقصدها الشعراء للافادة من أهل البادية الفصحاء الذين يرتادونه [٦]، وبلغ المربد اوج ازدهاره في نهاية القرن ٣هـ/٩م إذ أمسى من من أهم اماكن التقاء فحول الشعراء وتنافسهم ، ويتناقشون مع فصحاء البوادي الموجودين هناك في قضايا اللغة [٧]، وتعددت فيه حلقات الشعراء [١]. لذا لاعجب ان

---

(١) القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد ، ج٣ ، بيروت – ١٩٨٠ ، ص١٢ .

(٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٣٠٧ – ٣٠٨ .

(٣) ابو نصر الشافعي : عبد الستار محمد بن عبد الواحد بن جعفر ، الفقيه ، تولى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد ، توفي سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م . الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان ، مصر – ١٩١١ ، ص١٩٣ .

(٤) الصفدي ، نكت الهميان ، ص١٩٣ .

(٥) القالي ، ابو علي اسماعيل ، الامالي ، ج٢ ، بيروت – لا . ت ، ص٤٤ .

(٦) زيادة ، الحسبة ، ص٢١ .

(٧) الافغاني ، اسواق العرب ، ص١٧٨ ؛ المسري ، تجارة العراق ، ص١٠١ .

ان يكون الكثير من أهل السوق من الشعراء ، إذ كان الشاعر ابو نؤاس[٢] يجتمع مع عدد من الشعراء في احد الدكاكين في السوق منهم الشاعر ابو الحسن علي بن الخليل الكوفي مولى يزيد الشيباني[٣] ، والشاعر اسماعيل القراطيسي[٤] وغيرهم ، وكانوا يتناقشون في قضايا الادب واللغة وينشدون الشعر [٥].

ومن الشعراء المشهورين من أهل السوق ، الذين كانت لهم مجالس في دكاكينهم ،الشاعر ابو العتاهية ، إذ كان بائعا للجرار –كما مر سابقاً – وكان طلابه يترددون على مجلسه في دكانه ويكتبون شعره على كسر الجرار ، وحتى زبائنه كانوا يدونون شعره من شدة اعجابهم به [٦]. ومن الشعراء الذين عملوا بالسوق السري الرفاء الموصلي[٧] (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) [٨] ، الذي كان يرفو ويطرز في سوق البزازين في

---

(١) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٤٠٨ .

(٢) ابو نؤاس : الحسن بن هاني ، شاعر مبدع ، ولد سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م في نواحي عربستان، انتقل الى البصرة ، مدح الرشيد فاتصل ببلاطه ، واصبح نديم للامين ، كان واسع المعرفة،تزهد اخر ايامه ، توفي سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م .ابن النديم ، الفهرست ،ج٤، ص١٨٢؛ المقدسي ، انيس ، امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، بيروت– ١٩٨٠، ص١٠.

(٣) يزيد الشيباني : بن مزيد ، امير من القادة الشجعان ، كان والي ارمينية واذربيجان ، قاتل الخوارج بأمر من الخليفة الرشيد ، توفي عام ١٨٥هـ/ ٨٠١م . ابن منظور ، ملحق كتاب الاغاني (اخبار ابي نؤاس) ، ج٢٥، دار الفكر– ١٩٦٨ ، ص٩٣.

(٤) سماعيل القراطيسي : بن معمر مولى من الكوفة ، شاعر خالط ابو نؤاس ، وابا العتاهية . عبد الرحمن ، عفيف ، معجم الشعراء العباسيين ، بيروت – ٢٠٠٠ ، ص٣٢ .

(٥) ابن منظور ، الملحق ، ج٢٥ ، ص٩٣ .

(٦) الثعالبي ، المنتحل ، ص٣٠٤ ؛ ضيف ، الفن ومذاهبه ، ص١٦٤ .

(٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٣٥٩ ؛ العباسي ،معاهد التصنيف ،ج٣ ، ص٢٨٠.

(٨) ابن الوردي ، تاريخ ، ج١ ، ص٤١ .

الموصل في بداية امره [1]، ويحضر مجالس الادباء والشعراء ويقرأ الشعر ويتذوقه ويحفظه ، ضاق عيشه ، فجعل يعمل بالوراقة والنسخ ويدون شعره ويبيعه ، ثم نسخ لغيره بالأجرة [2] .

وكان الشاعر المعروف بالخبزارزي[3] ممن عمل بالسوق أيضاً ، إذ لقب بذلك لأنه يعمل بخبز الأرز في سوق المربد بالبصرة [4] ، وينشد اشعاره عند تجمع الناس حوله لشراء الخبز فيستمتعون بشعره [5]، ومع انه كان أمياً لايعرف القراءة والكتابة الأ ان موهبته الشعرية كانت تدفع الجميع ولا سيما الشعراء منهم الى التجمع في دكانه لسماع شعره [6] ومن الطريف الاشارة هنا الى ان الكثير من الشعراء كانوا يعكسون مصطلحاتهم المهنية على شعرهم مثل الخياط والخباز والطباخ[7] فكل منهم يستعمل كلمات والفاظ في شعره تدل على مهنته .

وأفادة بعض أهل السوق من موهبتهم الشعرية للوصول الى مناصب عالية في الدولة ، إذ كان ابن الزيات [8]بائعاً للزيت [1]، وفي الوقت نفسه ، كان شاعراً موهوبا

---

(١) الثعالبي، يتمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج١، القاهرة – ١٩٥٦، ص١١٧.

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص١٩٤ ؛السري الرفاء ،ابو الحسن بن احمد ، ديوان السري الرفاء، تحقيق : حبيب حسين الحسني،ج١ ،بغداد – ١٩٨١ ،ص٢٣ – ٣٥ .

(٣) الخبزارزي : نصر بن احمد ، ابو القاسم ، المعروف بالخبزارزي ، شاعر نزل بغداد ، توفي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٢٩٦ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٣٧٦ .

(٥) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٢ ، ص٢٧٥.

(٦) ابو الفدا ، المختصر ، ج٢ ، ص٧٥ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، مج٢ ، ص٧٨٧ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٨ ، ص٢١ .

(٧) الجاحظ ، رسائل ، ج١ ، ص٣٨٣ – ٣٩٠ .

(٨) ابن الزيات : محمد بن عبد مالك ، المعروف بابن الزيات ، توفي في عهد المتوكل ، سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٤٤٢ ؛ بهجت ، مجاهد

وعالما بالنحو واللغة ،فأهلته مواهبه للوصول الى كرسي الوزارة ، اذ استوزره الخليفة المعتصم بالله ثم الخليفة الواثق بالله [٢].

ومن الصيدلانيين الشعراء عرف صهر العلامة الكبير المبرد[٣] وهو محمد بنجعفر ، كان اديباً شاعراً وراوياً للاخبار [٤]. اما معاذ بن مسلم الكوفي (ت:١٨٧هـ/٨٠٣م) فكان أديباً وله شعر ، عمل ببيع الملابس الهروية[٥]. ومن الشعراء ممن عمل بالسوق أيضاً الشاعر المعروف بهلول المجنون [٦]، كان صيرفياً ، شاعراً له اخبار ونوادر [٧]، ومن بين الصيارفة ، عرف صاعد الصيرفي[٨] ببراعته في نظم الشعر وانشاده للامراء [٩]. كما جمع بعض البزازين بين مهنهم والشعر كأديم

مصطفى ، التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ، ط١ ، الكتاب ١٨ ، العراق – ١٩٨٢ ، ص٤٢٨ .

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٣ ، ص٦٦ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٤٤٢ .

(٣) المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي ، ابو العباس ، البصري ، العالم النحوي الكبير ، ولد سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م ، من مؤلفاته ، الكامل في اللغة والادب ، والمقتضب ، والاشتقاق ، توفي سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص٤٤٣.

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص١٣٢ .

(٥) القفطي ، انباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٨٨ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص٢٥٨ .

(٦) بهلول بن عمر : ابو وهيب الصيرفي ، ولد ونشأ بالكوفة ، سمي بالمجنون لوسوسة اصابته، كان له اخبار ونوادر وشعر ، توفي سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١١٠ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص٧٧ .

(٧) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١١٠ .

(٨) صاعد الصيرفي : شاعر يهودي من أهل الذمة ، عاش في القرن ٥هـ/١١م ، كان يعمل بالصيرفة ، انشد الشعر بوجوه الناس . غرس النعمة ، ابو الحسن محمد ، الهفوات النادرة، تحقيق : صالح الاشتر ، دمشق ، ١٩٦٧ ، ص٢١٣ .

(٩) غرس النعمة ، الهفوات النادرة ، ص٢١٣ .

البزاز وهو أحد تجار الكوفة ،تميز بجودة شعره [١]. وحتى النجارين ظهر من بينهم من من تميز بموهبته الشعرية المتقدمة [٢].

ان انشغال أهل السوق ، لا سيما التجار، بأعمالهم لم يقف عائقا بوجه مواهبهم وتطلعاتهم ، فلهذه المهنة الفضل في وصول بعضهم الى منصب الوزارة ، إذ كان الوزير ابو سلمة الخلال اول وزير في الدولة العباسية لاول خليفة عباسي وهو ابو العباس السفاح ، يعمل الخل في حانوته ، وقيل سمي بالخلال نسبة الى خلل السيوف وهي في اغمادها [٣].

وكان الفضل بن مروان [٤]تاجراً قبل ان يستوزره الخليفة المعتصم[٥]. كذلك الوزير احمد بن عمار[٦]الذي كان أصلاً طحاناً ثم توسع حاله وتحسن [٧]، كان حامد حامد بن العباس تاجرا قبل ان يوليه الخليفة المقتدر الوزارة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م[٨].

---

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص٢٥٧ .

(٢) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ص٣٢٣ ؛ الجرجاني ، ابو العباس احمد بن محمد ، المنتخب المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء ، بيروت – لا . ت ، ص١٥ ؛ عبد الرحمن ، المعجم ، ص١٤٩ .

(٣) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص٢٣٣ ؛ شلبي ، موسوعة ، ج٣ ، ص٤٥ ص٤٥ .

(٤) الفضل ابن مروان بن ماسرجس : ولد سنة ١٧٠هـ/٧٨٦ ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الانشاد ، اخذ البيعة للمعتصم بعد وفاة المأمون والمعتصم في بلاد الروم فاستوزره ، توفي سنة ٢٠٥هـ/٨٦٤م . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٣٣٢ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص١٥١ .

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٣٣٢ ؛ الكبيسي ، اسواق ، ص٣٤٤.

(٦) احمد بن عمار ، وزر للخليفة المعتصم ، كان رجلاً طحاناً ، سكن بغداد فأتسع حاله ، استوزره بعد ان نكب الوزير الفضل بن مروان . ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٥٤.

(٧) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٥٤ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٨٠ ؛ عبد الفتاح ، نظم الحكم ، ص٥٨ .

ولم يقتصر الأمر على تولي التجار منصب الوزارة فقط ، بل ان البعض منهم تولى القضاء فالتاجر احمد بن عبد الله بن اسحاق الخرقي كان من كبار تجار القماش في بغداد ، وبسبب عفته ونزاهته وزهده ولي القضاء ببغداد سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م ، تقلد هذا المنصب قبل ذلك في مصر والمغرب وواسط أيضاً [١]. وفي عهد المقتدر تولى القضاء ابو امية الاحوص الغلابي البصري [٢] الذي كان بزازا [٣] ، كذلك القاضي ابو الحسن الخلعي [٤] ،وكان من أهل السوق وسمي بالخلعي لانه يبيع الخلع.

وللنحويين من أهل السوق نصيب وافر . فمنهم الحلواني سلمان بن عبد الله بن محمد ،ابو عبد الله الذي برع بالنحو ، وهو من أهل النهروان (ت٤٩٣هـ/١٠٩٩م) [٥]

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٢٨٩ ؛ المسري ، تجار العراق ، ص٨١ .

(٢) ابا امية الاحوص الغلابي : الاحوص بن المفضل بن غسان الغلابي ، كان تاجراً في القماش القملش ببغداد ، ولاه ابن الفرات القضاء ، فكان عفيفاً متصوفاً ، ولما نكب ابن الفرات قبض امير البصرة على ابي اميه وادخله السجن فاقام فيه مدة ومات سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م. التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٢٣٢ ، هامش ٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم،ج٦ ، ص١١٦.

(٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٢٣٢ ؛ عبد الفتاح ، نظم الحكم ، ص٢١٩ .

(٤) ابو الحسن الخلعي : علي بن الحسن بن الحسين الموصلي القاضي ، كان بياعاً للخلع ، من اهل مصر ، ثم ولي منصب القضاء ، توفي سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م ، والخِلَعي بكسر الخاء وفتح اللام نسبة الى الخلع لانه كان يبيع بمصر الخلع لاملاك مصر فاشتهر بذلك اللقب .القمي ، عباس بن محمد ، الكنى والالقاب ، النجف – ١٩٥٦ ، ص١٩٩ ؛ الدمشقي ، شمس الدين ابو المحاسن ، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، بيروت ، لا . ت ، ص٤١.

(٥) السيوطي ، بغية الوعاة ، ج١ ، ص٥٩٥ .

، اما ابو الحسن الرماني[١] فقد كان من مشاهير النحويين فضلا عن كونه من أهل السوق[٢].

ومن بين الاسكافيين برز نحاة مشهورون كمحمد بن عبد الله ، ابو عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي ، كما كان اديباً لغوياً ، من أهل اصفهان ، توفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م [٣]. والنحوي علي بن عيسى ، كان صائغاً عرف بسعة العلم والادب ، مليح الشعر ، توفي سنة ٣١٢هـ /٩٢٤م[٤] ، اما النحوي عبد الله بن محمد بن سفيان ، فقد امتهن الخزازة ، وكانت له مصنفات عدة ، توفي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م [٥] ، والنحوي ابو زكريا يحيى بن زياد الكوفي ، إذ عمل ببيع الفراء (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) [٦] .

ومن ناحية أخرى كان العديد من المؤرخين والمصنفين ممن عملوا بالاسواق أيضاً . فالمؤرخ المعروف ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري[٧] ، كان فراءً[٨] وسمي بالثعالبي بسبب عمله بخياطة فراء جلود الثعالب وبيعها [٩]، يعدُّ الثعالبي من أئمة اللغة والادب ، ولع بالادب والتاريخ وصنف مصنفات عديدة من

---

(١) ابو الحسن الرماني : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، من النحويين المبدعين ، كان بياعاً للرمان ، توفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م .ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج٣ ،ص٢٩٩.

(٢) السري الرفاء، ديوان ،ج١،ص٤٥،هامش ١١؛ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج٣،ص٢٩٩.

(٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٨ ، ص٢١٤ .

(٤) ن ، م ، ج١٤ ، ص٦٥ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٢٣ .

(٦) الحلبي ، ابو الطيب عبد الواحد ، الاضداد في كلام العرب ، تحقيق : عزة حسن ، ج١ ، دمشق – ١٩٦٣ ، ص٦٧ .

(٧) العباسي ، معاهد التنصيص ، ج٣ ، ص٢٦٦ .

(٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص١٧٨ .

(٩) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٢٤٦.

أهمها (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) ، توفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م [١] .اما الواقدي [٢] المؤرخ المعروف الذي يعد من اشهر مؤرخي الاسلام ، فكان تاجر حنطة ، ثم تولى القضاء في بغداد في عهد الخليفة الرشيد ونال مكانة متقدمة أيضاً عند المأمون أيضاً [٣].

وكان المؤرخ المعروف التنوخي صاحب المؤلفات المعروفة نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة ، على العيار بدار الضرب بسوق الاحواز ، تولى القضاء وله ديوان شعر ، توفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م في بغداد [٤].

اما صاحب الاحكام السلطانية [٥]، اقضى القضاة[٦] الماوردي ، إذ لقب بذلك نسبة الى عمل ماء الورد وبيعه[٧]. ولي القضاء في بلدان كثيرة ، كان رجلا عظيماً . توفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٨] ، كما يذكر عن المقدسي ابو عبد الله محمد بن احمد المؤرخ صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم أنه كان يعمل بالسوق بائعا لمختلف البضائع ، وتاجراً ، أفادته اسفار التجارية في التأليف والتصنيف ، وامتازة بدقة ملاحظته وبعد نظره ، توفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م[٩] . اما ابو محمد بن علي بن

---

(١) ابن الوردي ، تاريخ ، ج١ ، ص٤٧٩ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص١٦٣.

(٢) الواقدي : محمد بن عمرو بن واقد السهمي ، الاسلمي بالولاء ، ابو عبد الله ، توفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م . بامطرف ، الجامع ، ج٤ ، ص٤٠٥ .

(٣) الماوردي ، نصيحة الملوك ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، بغداد – ١٩٨٦ ، ص٢١٣ ، هامش ٤٥.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١٦٦ ، هامش ١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص١٥٩ ؛ ابن العماد ، شذرت الذهب ، ج٣ ، ص١١٢.

(٥) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، مج ١، ص١٩ .

(٦) الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٢٢٣ .

(٧) الماوردي ، نصيحة الملوك ، ص٩ .

(٨) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٣ ، ص٣٠٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص٣٢٧ .

(٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٤٤ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٣١٢.

محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات ،وهو من ائمة عصره ، كان يبيع الحرير ، توفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[١] .

ومن المؤرخين الذين تولوا الحسبة ، احمد بن محمد بن موسى بن العباس ، وكان مهتما بأمر الاخبار ، وطلب التواريخ ، توفي سنة ٣٢٤هـ /٩٣٥م[٢] . ومن اصحاب التصانيف أيضاً ممن عمل في التجارة طاهر بن احمد بن بابشاذ المصري الجوهري النحوي ، إمام عصره في النحو ، كان تاجرا في الجواهر [٣]، وكان المؤرخ ابو بسام مقاتل بن حيان النبطي البلخي (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) خزازا [٤]، ومن الجدير بالاشارة الى ان العديد من التجار صاحبوا المؤرخين في رحلاتهم العلمية ، كالمؤرخ المسعودي(ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) صاحب المصنفات الشهيرة الدقيقة ومنها مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اذ كان مؤرخاً وجغرافياً رحالة زار العديد من البلاد [٥]، وصاحب التجار في رحلاتهم .

من ناحية أخرى ، أصبح للاسواق دور مهم في نشاط الحركة الفكرية اذ أصبحت اماكن للتعليم[٦] . تعقد فيها الحلقات العلمية لتدريس العديد من العلوم . كالعلوم الدينية وعلوم اللغة العربية[٧] . إذ نجد بعض العلماء تطوعوا لتعليم أهل السوق السوق متخذين من دكاكين أصحابها مقرات لذلك ، فكانوا يعلموهم شتى صنوف

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص٦٣.

(٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص٢٠٩ .

(٣) الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص٢٧١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص٢٢٠ .

(٤) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، ترجمة : فهمي ابو الفضل ، مج١ ، ج١ ، القاهرة القاهرة – ١٩٧١ ، ص١٩٧ .

(٥) امين ، ظهر الاسلام ،ج ٢ ، ص٢٠٦ .

(٦) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص١٦١ .

(٧) عباس ، صالح مهدي ، اعيان القراء البغدادين في القرن الرابع الهجري واثرهم في الحركة الفكرية ، من كتاب بغداد مدينة السلام ، بغداد – ١٩٩٠ ، ص٣٥٢.

المعرفة . إذ كان الامام الطرطوشي[١] يتردد على الاسواق ليعلم اصحابها الكثير من انواع العلوم ، طالبا منهم أن يعلموه بدورهم لمن يرغب بذلك ، فهو اذا لم يكتف بمجلسه العلمي في بيته بل انه اتخذ من الاسواق مكانا للتعليم أيضاً ، وهذا يدل على مدى تواضع العلماء وكيف انهم كانوا يبغون الاجر اكثر من ابتغائهم الكسب المادي [٢].

مثلما كان من أهل السوق العلماء الادباء ، كان منهم المنجمين أيضاً . إذ كان ثابت بن قرة [٣]، منجما وصيرفيا بحران، ادخله الخليفة المعتضد في جملة منجميه ، فضلاً عن كونه طبيباً متميزاً في صناعة الطب ، وكانت له تصانيف مشهورة [٤]، وكان يحيى بن غالب الخياط (تنحو ٢٢٠هـ/٨٣٥م) من مشاهير المنجمين ، وله مصنفات عدة[٥].

---

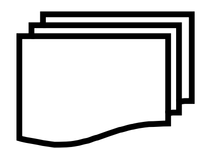
(١) الطرطوشي ، الامام العلامة ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الاندلسي الطرطوشي ، الفقيه، عالم الاسكندرية ، والطرطوشي نسبة الى مدينة طرطوشة اخر مدن المسلمين من شمالي الاندلس ، صنف كتاب سراج الملوك ، ولد سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م ، توفي ٥٠٢هـ/١١٢٦م في الاسكندرية . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٤٩٠.

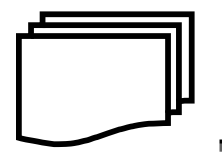
(٢) ابن الحاج ، المدخل ، ج٢ ، ص٨٦ .

(٣) ثلبت بن قرة بن مروان بن ثابت ، كان بارعاً في عدة علوم منها التنجيم والترجمة ، ولد سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م دخل بخدمة الخليفة المعتضد بالله توفي سنة ٢٨٨ هـ/٩٠٠م . ابن النديم ، الفهرست ، ج٧ ، ص٢٧٢.

(٤) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١٩٣.

(٥) الزركلي ، الاعلام ، ج٨ ، ص١٦٢.





الخاتمـة

الخاتمة

شكلت الحضارة العربية الأسلامية أنبل وأفضل حلقة من حلقات الحضارة الانسانية منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة ، إذ أتاحت المجال لكل مظهر من مظاهرهاان ينمو ويتفاعل مع مجريات الاحداث سلباً أم إيجاباً ، فكانت مبادئ الاسلام العظيمة واخلاقيات العروبة الراقية هي الروح النابضة والدافعة لها . من هنا أتيح لمرفق في غاية الاهمية من مرافق الحياة العامة ، وهي الأسواق أن تلعب دوراً فاعلاً في حياة الدولة العربية الأسلامية ، ليس الدور الأقتصادي بمختلف انماطه الزراعية أو التجارية أو الصناعية ، ولأنه النشاط الطبيعي للآسواق في كل زمان ومكان ، بل هو دور أخر لا يقل أهمية عن السابق لكنه يتعلق بأثر السوق واهله وتأثرهم بنواح أخرى ذات مساس مباشر – وغير مباشر – بحياة الناس ، السياسية والاجتماعية والفكرية . بعدهم أي أهل السوق يمثلون وحدة من أهم شرائح المجتمع . فالأسواق أصبحت ساحة للأحداث السياسية ، ومنتدى اجتماعياً ، ومنبراً ومدرسة فكرية اسهمت في انماء ودفع مسيرة الحركة العلمية العربية الاسلامية في العصور الوسطى ، أن دل هذا كله على شيء فانما يدل اولاً على مدى الأهتمام الخاص والعام بالاسواق بعدها مرفقاً مؤثراً في حياة الناس ، وثانياً على شدة التلاحم والتكاتف بين أهل السوق وبينهم وبين دولتهم ، وثالثاً يؤشر الاهتمامات العلمية والفكرية لدى العديد من أهل السوق ، بما جعلهم عناصر فاعلة في انضاج مسيرة الحركة الفكرية العربية الاسلامية التي عاشتها الامة في العصور الاسلامية الوسيطة.

كل هذا كان هلى نقيض كامل وحاد لحالة الاسواق في المدن الأوربية في الحقبة نفسها ، إذ مثلت واجهة اقتصادية بحته لكنها خاملة وخامدة في الكثير من الانشطة الاقتصادية التي عرفتها الاسواق العربية بالاضافة الى عدم قدرتها على

التفاعل والتعامل مع الأحداث السياسية او المظاهر الاجتماعية لمجتمعاتهم . وإذا كانت هذه حالتها ، فمن المؤكد اذن عدم وجود أي دور لها في دعم وانضاج أية حركة فكرية بأي نمط من انماطها ، ولا سيما إذا ما عرفنا أن أوربا كانت تعيش في هذه الحقبة حالة من التخلف الفكرية والعلمي بسبب جهل الحكام واستبداد الكنيسة ورجال الدين الذين اسروا العقول وجمدوا أية محاولة للأبتكار .

ان الصورة الاولى ، وهي حالة الاسواق العربية الاسلامية صورة مشرقة تشكل موروثاً حضارياً بالغ الأهمية لذا حاول اعداء الامة والاسلام طمسها أو تشويهها في ظل هذا العداء الغريب والوحشي المتواصل ضد العروبة والاسلام ، واستمرت محاولات الانتقاص منها وما يحدث الان هو جزء من مخطط قديم هدفه ضرب الاسلام والعروبة معاً ، فقد اصبحت كل ملامحه وخطواته واضحة ، وما يتعرض له بلدنا الحبيب الان خير دليل على هذا . ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه لذا يمكن القول ان هذه المحاولات ستفشل كما فشلت سابقاً وستبقى الحضارة العربية الاسلامية تعطي الحضارة الانسانية الكثير من النتاجات ، لعل في مقدمتخا القيم والاخلاق العالية الرصينة التي تفتقر اليها الكثير من القوى التي تدعي الحرية وحقوق الانسان وقدرتها على بعث كل جديد واصيل عند الناس كافة ، وهو أمر تأكد في هذه الرسالة ، بهذا الدور الريادي الجميل والمتفاعل من قبل اهل السوق مع الأحداث العامة .

ومن هذا المنبر العلمي الرصين ، نتمنى من كل المراكز العلمية الرصينة والجادة ان تقف مع الاسلام والعروبة ضد هذه الهجمة البربرية التي نتعرض لها ، بما يحقق الفائدة للجميع .

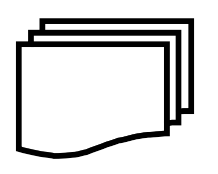


ABSTRACT

The academic studies dealing with the urban Arab Islamic aspects are very small in number in our scientific studies and Arab library . Yet , They have started to gain the proper attention that reflects a bright side of the Arab Islamic civlization . Hence , the study of markets , their planning and development , and their influence on the public life with all its phenomena,the political, social, and intellectual, is the subject of the present thesis. However, it is not an easy subject .It is natural that the markets formulate the centre of economic activity to any nation , but the illustration of their other effects on the lives of people is something of great importance .

The reason behind that is the intimate relation between the lives of people and markets directly and indirectly , the thing which has left its clear stamps on the course of any society . What concerns us here is the Arab Islamic society .

The period covered by the present study starts from the second higri century to the fifth higri century . In that period the city of Baghdad was built , by the order of Abu Jaafar Al – Mansur, on distinguished urban bases . The second civilized step which Al – Mansur took was to put the markets outside the city. The result was a development in the planning of markets, growth of relations between



the people of the market, and the development of their role in the various political , social, and intellectual specialization. Further, this period witnessed prominent intellectual activity and the appearance of many famous figures in the field of science and intellect, among them a group of the market people.

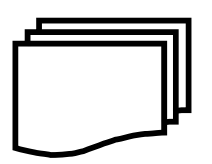
The Thesis consists of four chapters, introduction, conclusion , bibliography , and an an abstract in the English language .

Chapter One, entitled " The Markets and Their Influence on the Public life until the Second Higri Century (Eighth Century A.D.)'', presents the development of markets historically and their influence until the end of Baghdad building in 145 A.H.

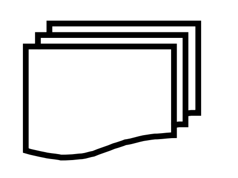
Chapter Two, entitled "The Political Influence of the Market on the Public Life ", is devoted to the explanation of the markets role in the political events that the Arab Islamic State has gone through .

Chapter Three, entitled " The Social Influence of the Market on the Public Life in the Abbasid Age", shows the participation of the market people in the general and private celebrations, occasions , and social as well as religious events . The chapter reflects the solidarity and cooperation between the market people . Moreover , it refers to the supplemantary building of the markets, like schools , mosques , hospitals … etc for their importance.

Capter Four , entitled " The Intellectual Influence of the Market on the Public Life in the Abbasid Age" , tackles the influence of the paper market and paper industry development



on the intellectual activity . Further , it discusses the role of paper shops in the development of the intellectual activity , in addition to the role of occupations people concerned with science and scientists.



IMPACT OF MARKETS IN THE GENERAL LIFE OF THE ABBASIONA AGE

A STUDY OF THE POLITICAL , SOCIAL AND THOUGHTFUL ROLE OF MARKET

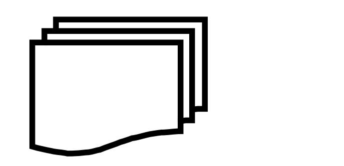
A thesis Submitted to the Council of the College of Education For Women University of Baghdad
in partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of M. A in Islamic History

By

Iqbal Ahmed Zakeria Al - Azawi

Supervised by

ASS.Proff . Khawla Shaker Al - Dijialy



2002 A D **1423 H**